الملامح العامة والصفات الأساسية التي تميز أهل السنة

التوحيد

العدد ٦٢٥ السنة الثالثة والخمسون- ذو القعدة ١٤٤٥ هـ
الثمـن ١٠ جنيهات

الغشُّ في الامتحانات: خيانةٌ للأمة ودمارٌ للمجتمع

التضرع عند نزول البلاء

شرف الانتساب للسلف

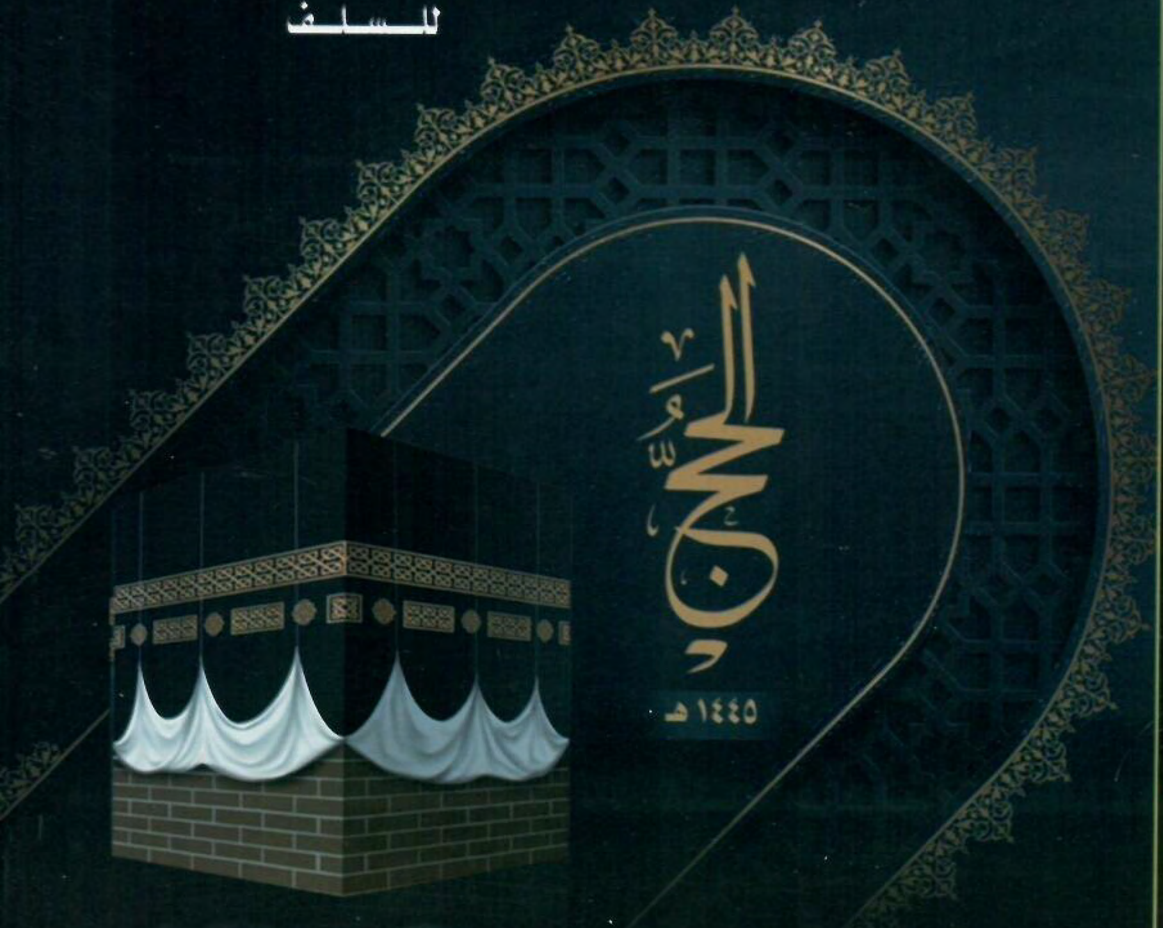

لبيك اللهم لبيك

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٢٥ السنة الثالثة والخمسون- ذو القعدة ١٤٤٥ هـ
الثمـن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

جمعية أنصار السُّنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة) ٤٥٠ جنيهاً عن السنة.

ويوجد تخفيض آخر في حالة وصول عدد الاشتراكات إلى ٨ نسخ على عنوان واحد يكون سعر الاشتراك للنسخة الواحدة ٢٠٠ جنيه فقط. رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبدالمجيد

السلام عليكم

دعوة للإعلان عن أنشطة فروع أنصار السنة من خلال مجلة التوحيد

رغبةً من إدارة المجلة في إظهار أنشطة فروع أنصار السنة، وتفعيل التواصل معها، واستفادةً من صفحات المجلة، ونشرًا للخير والإعلان عنه:

تدعو مجلة التوحيد فروع أنصار السنة المحمدية للإعلان عن أنشطة الفرع من مستشفيات، ومستوصفات، وحضانات، وغيرها، من خلال صفحات مجلة التوحيد، فعلى الفروع التي ترغب في ذلك التواصل مع مندوب المجلة على رقم واتس: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٣٢، على أن يكون ثمن الإعلان هو شراء الفرع ٣٠٠ عددٍ من مجلة التوحيد، على أن تسدد قيمة الأعداد قبل نزول الإعلان، وستقوم إدارة المجلة بتصميم الإعلان ونشره.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد: الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
الملامح العامة والصفات الأساسية التي تميز أهل السنة
د. عبد الله شاكر ٨
نبذة يسيرة عن الشيخ أسامة سليمان
محمد جمال الأخرس ١١
الجفاء بين الفقهاء والمعاملات المعاصرة
د. أيمن خليل ١٢
وصية نوح عليه السلام د. جمال المراكبي ١٧
تزويج أم كلثوم من عثمان د. سيد عبد العال ٢١
صفات التاجر المسلم الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
من استطال الطريق ضعُف مشيه أ.د. محمد حامد ٢٨
الغش في الامتحانات الشيخ صلاح عبد الخالق ٣٢
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٧
جريمة الاعتداء الإلكتروني على العرض د. عبد القادر فاروق ٣٨
شرف الانتساب للسلف الشيخ أحمد بن سليمان أيوب ٤١
التضرع عند نزول البلاء أ. عبد العزيز مصطفى الشامي ٤٤
أنساك الحج د. محمد عبد العزيز ٤٨
تحذير الداعية من القصص الواهية الشيخ علي حشيش ٥٣
حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
أدب الطفل مع إخوانه وأخواته الشيخ عادل شوشة ٦١
آفات طالب العلم الشيخ أسامة سليمان ٦٤
السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم
د. عبد الرحمن فودة ٧٠

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

لبيك اللهم لبيك

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن أغلى ما يملكه العبد في دنياه: الوقت، وهو رأس ماله الذي يمكن له أن يقدم فيه لما بعد الحياة الدنيا، قبل أن يدركه الموت: « أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ » (النساء: ٧٨).

قال ابن كثير في معناها: أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجو منه أحد منكم، وها هي الأيام تمضي ويقترب العام من نهايته لتأتي أشهر الحج، وقد استعد الحجاج لقصد بيت الله الحرام وشعارهم «لبيك اللهم لبيك». إنها التلبية التي تقشعر منها جلود المؤمنين شوقًا إلى أول بيت وضع للناس، والتلبية اختصار للصيغة المعروفة كما يقال الحوقلة لجملة «لا حول ولا قوة إلا بالله».

كما يقال لها الإهلال، وقد بوب البخاري «باب رفع الصوت بالإهلال»، وفيه حديث أنس قال: «صلى النبي بالمدينة الظهر أربعًا والعصر بذي الحليفة ركعتين، وسمعتهم يصرخون بهما جميعًا»: أي بالحج والعمرة.

ويقال أيضًا للتلبية الإهلال بالتوحيد كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهَلَّ بالتوحيد ح(١٢١٨)، ومعناه أهلَّ بتوحيد الله تعالى لا بتلبية الجاهلية، وصيغة التلبية كما ورد في الصحيح من حديث عمر رضي الله عنه أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». وفي صحيح مسلم قال نافع: كان عبدالله بن عمر يزيد مع هذا: «لبيك لبيك وسعديك، والخير بيديك لبيك، والرغباء إليك والعمل» ح(١١٨٤).

والإهلال معناه رفع الصوت بالتلبية عند الدخول في الإحرام، فإن جمهور الفقهاء استحبوا رفع الصوت بالتلبية لما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد قال: خرجنا مع رسول الله نصرخ بالحج صراخًا. ح(١٢٤٧)

قال النووي: فيه استحباب رفع الصوت بالتلبية، وهو متفق عليه بشرط أن يكون رفعًا مقتصرًا بحيث لا يؤذي نفسه، والمرأة لا ترفع، بل تُسمع نفسها؛ لأن صوتها محل فتنة، ولما ورد في مسند أحمد وفي سنن ابن ماجه من طريق خلاد بن السائب عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فقال مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية؛ فإنها من شعائر الحج» ح(الصحيحة(٨٣٠).

> ”التلبية امتثال لأمر الله عز وجل وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.“

والثابت أن الصحابة كانوا يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تُبَحَّ أصواتهم، كما جاء في سنن الترمذي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الحج أفضل؟ قال: «العج والثج» (صحيح الترمذي(٨٢٧)، ومعنى العج: رفع الصوت بالتلبية، ومعنى الثج: سيلان دماء الهدي.

كما ذكر الشيخ تقي الدين استحباب الإكثار من التلبية عند اختلاف الأحوال مثل إدبار الصلوات ومثل إذا ما صعد أو هبط واديًا أو سمع ملبيًا أو أقبل الليل والنهار.

وإن فضل التلبية أن تلبيَ الأشياء من حول الملبي كما عند ابن ماجه من حديث سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مُلَبٍّ يُلبِّي إلا لبَّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا» (صححه الألباني).

ومما يساعد على التأثر بالأذكار فهم معانيها.

وإن في التلبية من المعاني الكثير، فأول ذلك امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذكرها في هذه المواطن. وهي

امتثال لأمر الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » (الأنفال: ٢٤).

جاء في مجموع الفتاوى: "والتلبية هي إجابة دعوة الله تعالى لخلقه حين دعاهم إلى حج بيته على لسان خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم، والملبِّي هو المستسلم المنقاد لغيرِهِ كما ينقاد الذي لُبِّب، وأخذ بلبته، والمعنى: إنا مجيبون لدعوتك، والتلبية شعار الحج.

> “الواجب على كل مسلم أن يكون شعاره: « سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ».”

قال النووي: إن للتلبية معاني كثيرة، منها إجابة بعد إجابة، ولزومًا لطاعتك، وقيل معناها اتجاهي وقصدي إليك، مأخوذ من قولهم داري تلب دارك أي تواجهها، وقيل معناها: محبتي لك من قولهم امرأة لبة، إذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه، وقيل معناها: إخلاصي لك مأخوذ من قولهم حب لباب إذا كان خالصًا محضًا، ومن ذلك لب الطعام ولبابه، وقيل معناها: أنا مقيم على طاعتك وإجابتك مأخوذ من قولهم لب الرجل بالمكان وألب إذا أقام فيه، وقيل قرب منك وطاعة. والألباب القرب، وقيل هذه الإجابة لقوله تعالى لإبراهيم صلى الله عليه وسلم: « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ » (الحج: ٢٧)، ولا مانع أن تحمل التلبية كل هذه المعاني من الإجابة ولزوم الطاعة الناتجة عن المحبة فيكون اتجاه العبد وإخلاصه له سبحانه. فما أعظمه من شعار ينطق به البشر ويشاركه من حولهم في الكون من حجر أو مدر في كل اتجاه؛ ليعلن الجميع وحدانية الله تعالى، وأنه الواحد الذي لا شريك له في خلقه؛ فلا ينبغي أن يكون له شريك في عبادته. فالحمد له والنعمة على الدوام.

وألفاظ التلبية قاصرة على مناسك العمرة والحج، فعند العمرة يتلفظ بها المسلم عند الإحرام من الميقات، فإن كان ذلك بعد صلاة مفروضة وإلا فليس للإحرام صلاة خاصة به.

ويلتزم قاصد العمرة التلبية وعليه أن يكثر منها، لضيق وقتها فإنها تنتهي باستلام الحجر أو محاذاته له شارعًا في الطواف، وهذا فعله صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله ابن عباس عند الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم: كان يمسك عن التلبية في العمرة إذا استلم الحجر، وعليه فليس في الطواف ولا في السعي تلبية وأما في الحج فإنها تبدأ عند الإحرام للحج مفردًا كان أو متمتعًا أو قارنًا. وتنتهي عند رمي جمرة العقبة لما ورد في الصحيح من حديث عبد الله بن عباس أن أسامة كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى قال: فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يُلبِّي حتى رمى جمرة العقبة (البخاري: (١٥٤٤)).

وإذا كان المستطيع للحج أو العمرة يكون شعاره التلبية؛ فإن الواجب على كل مسلم أن يكون شعاره « سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (البقرة: ٢٨٥) .

والمسلم لا ينقطع أمله في ربه يسأله أن يرزقه الحج والعمرة لينال شرف التلبية ضمن وفود الرحمن الذين اختارهم الله لحج بيته.

فاللهم لا تحرمنا شرف حج بيتك الحرام، والحمد لله رب العالمين.

سُورَةَ السَّجْدَةَ

سُورَةَ السَّجْدَةَ

سورة السجدة

قال الله تعالى: «الٓمٓ ① تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ② أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ» (السجدة: ١-٣).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فهذه حلقات في تفسير سورة السجدة، ونسأل الله القبول والتوفيق.

بين يدي السُّورة:

تُسمَّى هذه السُّورةُ سُورةَ السَّجْدَة، ويُقال لها: «الم» السَّجْدَة، تمييزا لها عن سُورة فصلت، والتي تُسمَّى أيضا السَّجْدَة، فميزوا بينهما فقالوا: «الم» السَّجْدَة، و«حم» السَّجْدَة.

مُناسبتها لما قبلها:

لمَّا ذكر تعالى فيما قبلها دلائل التَّوحيد من بدء الخلق، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد والحشر، وهو الأصل الثاني، وختم به السُّورة، ذكر في بدء هذه السُّورة الأصل الثالث، وهو تبيين الرسالة. (البحر المحيط ٧/١٩٦).

ما اشتملت عليه:

وهي سُورةٌ مكيةٌ، شأنُها شأنُ السُّور المكيَّة في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين وأركان الايمان، وقد ركزت على الأصول الثلاثة، وهي: التَّوحيد، والنُّبوة، والبعث بعد الموت.

عنْ جابر رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان لا ينامُ حتَّى يقرأ: (الم تنزيل)، و(تبارك الذي بيده المُلْكُ). (صحيح الترمذي: ٢٨٩٢).

لماذا كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقرأها

في صلاة فجر الجُمعة:

وعنْ أبي هُريرة رضي الله عنه قال: كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر (الم تنزيل) السَّجْدَة، و(هل أتى على الإنسان). (صحيح مسلم ٨٧٩).

قال ابنُ القيِّم رحمه الله: ويظنُّ كثيرٌ ممَّن لا علم عنده أنَّ المراد تخصيصُ هذه الصلاة بسجدة زائدة، ويسمُّونها سجدة الجُمعة، واذا لم يقرأ أحدُهم هذه السُّورة استحب قراءة سُورة أُخرى فيها سجدة، ولهذا كره من كره من الأئمة المداومة على قراءة هذه السُّورة في فجر الجمعة، دفعا لتوهم الجاهلين، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول: إنما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السُّورتين في فجر الجمعة لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها، فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد وحشر العباد، وذلك يكون يوم الجُمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم

تَذْكِيرٌ لِلأُمَّةِ بِمَا كَانَ فِيهِ وَيَكُونُ، وَالسَّجْدَةُ جَاءَتْ تَبَعًا لَيْسَتْ مَقْصُودَةً حَتَّى يَقْصِدَ الْمُصَلِّي قِرَاءَتَهَا حَيْثُ اتَّفَقَتْ (زاد الميعاد: ١/٢٦٤).

حُكْمُ سُجُودِ التِّلاوَةِ:

وَسُجُودُ التِّلاوَةِ مُسْتَحَبٌّ لا وَاجِبٌ، فِي الصَّلاةِ وَخَارِجَهَا.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَيْسَ السُّجُودُ فَرْضًا لَكِنَّهُ فَضْلٌ، وَيَسْجُدُ لَهَا فِي الصَّلاةِ الْفَرِيضَةِ وَالتَّطَوُّعِ، وَفِي غَيْرِ الصَّلاةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَعِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا وَاسْتِوَائِهَا، إِلَى الْقِبْلَةِ وَإِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى طَهَارَةٍ وَعَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ. (المحلى ٥/١٠٥).

قُلْتُ: أَمَّا كَوْنُهُ فَضْلاً لا فَرْضًا فَلأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَرَأَ: «وَالنَّجْمِ» فَسَجَدَ فِيهَا. (صحيح البخاري: ١٠٧٠). وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ زَيْدُ ابْنُ ثَابِتٍ فَلَمْ يَسْجُدْ فِيهَا. (صحيح البخاري: ١٠٧٣)؛ لِبَيَانِ الْجَوَازِ. كَمَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْفَتْحِ. (فتح الباري: ٢/٥٥٥).

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا سُجُودُهَا عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ، وَإِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ كَيْفَ مَا يُمْكِنُ فَلأَنَّهَا لَيْسَتْ صَلاةً، وَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «صَلاةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَثْنَى مَثْنَى». (صحيح أبي داود: ١١٥١)، فَمَا كَانَ أَقَلَّ مِنْ رَكْعَتَيْنِ فَلَيْسَ صَلاةً إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَ نَصٌّ بِأَنَّهُ صَلاةٌ، كَرَكْعَةِ الْخَوْفِ، وَالْوِتْرِ، وَصَلاةِ الْجِنَازَةِ، وَلا نَصَّ فِي أَنَّ سَجْدَةَ التِّلاوَةِ صَلاةٌ. (المحلى: ٥/١١١).

فَضْلُ سُجُودِ التِّلاوَةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ! أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ». (صحيح مسلم: ١٣٣).

مَا يَقُولُ إِذَا سَجَدَ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَرَأَ السَّجْدَةَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ الرَّجُلُ عَنْ كَلامِ الشَّجَرَةِ. (صحيح الترمذي: ٥٧٩) وحسنه.

سِرُّ وُجُودِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ:

الْحُرُوفُ الْمُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ لإِثْبَاتِ كَوْنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَلامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَيْسَ كَلامَ النَّبِيِّ الأَمِينِ صلى الله عليه وسلم كَمَا هُوَ زَعْمُ الْمُشْرِكِينَ، «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الفرقان: ٤، ٥)، ثُمَّ زَعَمُوا الْقُدْرَةَ عَلَى الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (الأنفال: ٣١)، فَقَالَ تَعَالَى: «أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ» (الطور: ٣٣، ٣٤)، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (هود: ١٣)، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (يونس: ٣٨)، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (البقرة: ٢٣)، وَمَعَ كَثْرَةِ الطَّلَبِ لَمْ يُحَاوِلُوا- فَضْلاً عَنْ أَنْ يَأْتُوا-، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ عَجْزَهُمْ دَائِمٌ، وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَمَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا فِي الْحَاضِرِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَجْزَ مَعَ كَوْنِ الْقُرْآنِ مُؤَلَّفًا مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ: الأَلِفِ وَاللاَّمِ وَالْمِيمِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي يَتَأَلَّفُ مِنْهَا كَلامُهُمْ، وَمُحَمَّدٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، دَلِيلُ كَوْنِ الْقُرْآنِ كَلامَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: «فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» (البقرة: ٢٤) بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى رُجْحَانِ هَذَا التَّفْسِيرِ أَنَّكَ لا تَرَى اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَفْتِحُ سُورَةً بِهَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ إِلاَّ رَأَيْتَهُ سُبْحَانَهُ فِي مَطْلَعِهَا يُشِيدُ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَيُشِيرُ إِلَى عُلُوِّ مَكَانَتِهِ، وَارْتِفَاعِ شَأْنِهِ، وَيُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ

هُنَا-كَمَا قَالَ في سُوَرٍ كَثِيرَةٍ-: «الم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ»:
فَأَوَّلُ الْآيَةِ مُبْتَدَأٌ، وَآخِرُهَا خَبَرٌ، وَجُمْلَةُ «لَا رَيْبَ فِيهِ» جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، اعْتَرَضَتْ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ لِتَنْفِيَ الرَّيْبَ وَالشَّكَّ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ في كَوْنِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى في مَطْلَعِ الْبَقَرَةِ: «الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ» (البقرة: ١، ٢)، فَلَا رَيْبَ وَلَا شَكَّ في كَوْنِ هَذَا الْكِتَابِ «تَنزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» (يس: ٥).

وَمَعَ ذَلِكَ أَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا، وَقَالُوا: «إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ»، فَقَالَ تَعَالَى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ»؟! بَعْدَ مَا قَالَ اللهُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: «تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ»، «فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا» (الفرقان: ٤)، «وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (يونس: ٣٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (الإسراء: ٨٨).

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ»؟! كَذَبُوا وَاللهِ! «بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ»، رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَفي إِضَافَةِ الرُّبُوبِيَّةِ هُنَا إِلَى الضَّمِيرِ الْعَائِدِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا فِيهَا مِنَ التَّكْرِيمِ وَالتَّشْرِيفِ لَهُ صلى الله عليه وسلم.

حال العرب قبل القرآن:

وَالْعِلَّةُ مِنَ التَّنْزِيلِ: «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ»، فَلَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، في قَوْمٍ أُمِّيِّينَ لَمْ يَأْتِهِمْ قَبْلَهُ مِنْ نَذِيرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (القصص: ٤٦)، وَقَالَ تَعَالَى: «يسٓ ① وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ③ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ④ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ⑤ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ» (يس: ١-٦). فَكَانُوا في جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ، وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَسْلُبُونَ الْأَمْوَالَ، وَيَنْتَهِكُونَ الْأَعْرَاضَ، وَيَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ وَثَنِيِّينَ، يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ، فَكَانُوا في ظُلُمَاتٍ مُتَرَاكِمَةٍ، ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ وَالشِّرْكِ. فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ بِهِمُ الْخَيْرَ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ» (إبراهيم: ١).

مِنْ أَدَبِ الدَّاعِيَةِ أَنْ يَرْجُوَ لِلْمَدْعُوِّينَ الْهِدَايَةَ: وَجُمْلَةُ «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» التَّرَجِّي فِيهَا عَائِدٌ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، لَا إِلَى اللهِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَنْ يَهْتَدِي مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ» (الأنعام: ١١٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ» (يونس: ٤٠).

لَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُنْذِرَ النَّاسَ وَهُوَ يَرْجُو هِدَايَتَهُمْ، فَإِنَّ الرَّجَاءَ هُوَ الَّذِي يُحَرِّكُ الدَّاعِيَةَ، وَيَجْعَلُهُ لَا يَأْلُوا جَهْدًا في دَعْوَةِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ كَمْ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا». (صحيح مسلم: ٢٦٧٤). وَقَالَ صلى الله عليه وسلم لِعَلِيٍّ رضي الله عنه يَوْمَ خَيْبَرَ: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». (صحيح البخاري: ٣٧٠١).

فَإِذَا امْتَلَأَ قَلْبُ الدَّاعِيَةِ بِالْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ في هِدَايَةِ الْمَدْعُوِّينَ-مَعَ عِلْمِهِ بِهَذَا الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ- دَعَاهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجِهَارًا.

أَمَّا إِذَا يَئِسَ الدَّاعِيَةُ مِنْ هِدَايَةِ النَّاسِ فَإِنَّهُ سَيَقْعُدُ عَنْ دَعْوَتِهِمْ، وَيَتَخَلَّى عَنْ هِدَايَتِهِمْ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ دَاعِيَةٍ، يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَ«إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». (صحيح الترمذي: ٢١٤٠)، فَفِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ يَتَحَوَّلُ الضَّالُّ إِلَى مُهْتَدٍ، وَالْمُحَارِبُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى نَصِيرٍ لَهَا، وَوَاقِعُ الصَّحَابَةِ أَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ. فَمَتَى أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَأَبُو سُفْيَانَ وَمُعَاوِيَةُ، رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

الملامح العامة والصفات الأساسية التي تميز أهل السنة

إعداد: د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فلقد تناولنا في المقال السابق مصطلحات مهمة كمدخل لعلم العقيدة وهي مصطلحات لابد للقارئ الكريم من الإلمام بها قبل الدخول في مسائل هذا العلم. وفي هذا المقال نتناول بعون الله وتوفيقه أهم الملامح والصفات التي يتميز بها أهل السنة عن غيرهم من الفرق والجماعات التي تنتسب إلى الإسلام وهي:

أ- منهج التلقي عند أهل السنة والجماعة:

أهل السنة والجماعة أول ما يميزهم عن غيرهم هو منهاج التلقي لعلومهم، ومصدر الحق الذي ينهلون منه عقائدهم، وتصوراتهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم؛ فمصدر العلم والحق في سائر فروع المعرفة الشرعية عند أهل السنة والجماعة، هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا كلام لأحد قبل كلام الله، ولا هدي لأحد قبل هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى الله- مبينًا ومبرزًا هذا المنهج الأصيل عند أهل السنة والجماعة وهم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد، ويتبعون آثاره صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا، ولا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجعلون ما بعث به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه.

وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات، والقدر، والوعيد، والأسماء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف، فما كان من معانيها موافقًا

للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفًا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم.

وأهل السنة بهذا لا معصوم عندهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأئمة عندهم ليسوا بمعصومين، بل كل واحد منهم يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمقالات أئمتهم تابعة لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وليست مقدمة عليها.

وفي ذلك يقول ابن تيمية- رحمه الله تعالى الله-: أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، وأهل السنة أيضًا يعتقدون أن أعلم الخلق بدين الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم صحابته (رضوان الله عليهم) والسلف الصالح، فما أجمعوا عليه من أمر دينهم كان معصومًا لا يسع أحدًا أن يخرج عليه: فإجماعهم حجة شرعية ملزمة لمن بعدهم، وكل من التزم بإجماعهم؛ صار عضوًا في جماعتهم.

ب- أهل السنة هم أهل التوسط والاعتدال:

وهذه مسألة من أبرز معالم ومنهج أهل السنة والجماعة. فمن الصفات الأساسية التي تميز منهج أهل السنة والجماعة، هو التوسط والاعتدال. فالأمة المحمدية هي خير الأمم، كما قال تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (آل عمران: ١١٠) وهي أيضًا الأمة الوسط التي توسطت الأمم، فكان عندها من كل ما فيها خيره وأحسنه، كما قال سبحانه: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٢).

فأمة النبي صلى الله عليه وسلم هي أفضل الأمم، وهي أعدل الأمم، وهي خير الأمم بإطلاق، وأهل السنة والجماعة هم أعدل وأوسط وأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ووسطية الأمة المحمدية متضمنة لكونها على الحق؛ أو أن ما عندها منه أوفر من سائر الأمم، بل هي أسعد وأخص به منهم؛ مما جعلها حكمًا بين الرسل وأممهم، فهذه ميزة عظيمة لهذه الأمة المحمدية: أنها ملتزمة بالحق، قائمة به، سائرة عليه، ولهذا كانت مفضلة عند رب العالمين سبحانه، وحاكمة بين الرسل وأممهم، كما قال سبحانه: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» (الحج: ٧٨).

وكونهم شهداء متضمن لتعديلها وقبول شهادتها على من سواها؛ ولذا فإن الذي يمثل الأمة المحمدية لابد وأن يكون وسطًا، وأن يكون ما عنده من الحق هو الأكمل، ولا يكون كذلك إلا إذا تمسك بالكتاب والسنة، وجعلهما إمامًا له في كل شؤونه في باب الأصول- العقائد- وفي باب الفروع- الأحكام العملية- كما قال سبحانه: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥).

وأسعد الأمة المحمدية بهذا الأمر هم أهل السنة والجماعة، ولذا فهم بين فرق الأمم المحمدية كالأمة المحمدية نفسها بين الأمم، فهم الوسط بينهم؛ لأن منهجهم هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية، فقال: «هي الجماعة»(صحيح الجامع: ح(٢٠٤٢))، وفي رواية: «هي ما كان عليه أنا وأصحابي» (الابانة:ح (١) والمجمع:ح(٧٠٩) وهو ضعيف).

فهم الممثلون للأمة المحمدية في صفاء عقائدها، ونقاء منهجها، ومصداق هذه الوسطية تظهر بإيضاح معالمها، كما تظهر

ببيان عناصرها، وذكر مظاهرها والتي من أهمها ما يلي:

أولا: الوسطية في باب الصفات:

انقسم الناس في باب الصفات إلى قسمين:

القسم الأول: النفاة للصفات أو لبعضها.

القسم الثاني: المثبتون لها على نحو ما يتصف به المخلوق، وكلا هاتين الطائفتين على طرفي نقيض كما يظهر هذا ويتضح.

أما مذهب أهل السنة: فهو إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، من غير تعطيل كتعطيل النفاة، ولا إثبات كإثبات الممثلة؛ اعتمادًا على دلالة قوله سبحانه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشورى: ١١) فقوله سبحانه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» رد على الممثلة، وإبطال لمذهبهم، وكذلك قوله: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» رد على المعطلة وإبطال لمذهبهم.

ثانيا: الوسطية في باب أفعال العباد:

وذلك أن القدرية- وهم نفاة القدر- يذهبون إلى أن الله لا يُقدِّر أفعال العباد. وعليه فهي ليست مخلوقة له، وإنما العباد هم الخالقون لأفعالهم.

ويرى الجبرية: أن العبد لا تأثير لقدرته في إيجاد الفعل، وبناء على ذلك فإن جميع أفعال العباد في الحقيقة عندهم هي أفعال للرب؛ فهي موجودة من العباد قهرًا، ولا أثر لإرادتهم في فعلها أو تركها، فالقدرية النفاة جفوا في إثبات القدر، ونفوا قدرة الرب وخلقه لأفعال عباده. والجبرية غلوا في إثبات القدر، ونفوا مسئولية العبد عن أفعاله، فهو لا يريد فعلها، ولا يستطيع ولا يقدر عليه.

وتوسط أهل السنة والجماعة، فأثبتوا مسئولية العبد عن أفعاله، وبينوا أن العبد يثاب ويعاقب على أفعاله، وله إرادة ترجح له الفعل أو الترك، وإن كانوا يقولون: إن إرادته ليست مؤثرًا تامًا يوجب وجوب الفعل؛ لأن الله- تبارك وتعالى- خالق لأفعال العباد، كما هو الخالق للفاعلين.

وهو لا يكون في ملكه إلا ما يريد كونًا وقدرًا، وقدرة رب العالمين سبحانه هي المؤثر التام في الوجود والعدم؛ ولذا فإن فعل العبد له علاقة بقدرته من حيث هي مؤثر ناقص في الوجود، وله علاقة بقدرة الرب من حيث هي المؤثر التام للوجود، وهم بذلك يجمعون بين النصوص ويؤلفون بينها؛ فالله عز وجل قد نص على خلقه لأفعال عباده بقوله: «قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» (الصافات: ٩٥، ٩٦) ونص على أنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، فقال سبحانه: «لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (التكوير: ٢٨، ٢٩).

فأثبت للعبد مشيئة مؤثرة في فعله، وجعل وجود متعلقها خلقًا وإيجادًا تابعة لمشيئته.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

في يوم الأحد ١٩ شوال ١٤٤٥هـ الموافق ٢٨ أبريل ٢٠٢٤م؛ توفي الدكتور/ أسامة علي محمد سليمان (تغمده الله بواسع مغفرته) رئيس فرع أنصار السنة المحمدية بفاقوس، والعضو السابق بمجلس إدارة المركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية (والذي شغل مدير شؤون القرآن، ثم أمين الصندوق ، ثم مدير إدارة المشروعات)، والفقيد كان له جهد مشهود في الدعوة إلى الله تعالى (نسأل الله تعالى أن يثقل به ميزان حسناته)، ويتقدم مجلس إدارة المركز العام وأسرة تحرير المجلة، بخالص العزاء لأسرته ولمحبيه، سائلين الله تعالى أن يغفر ذنبه وأن يكرم نزله وأن يبدله دارًا خيرًا من داره وأهلًا خيرًا من أهله، وأن يربط على قلب أهله ويلهمهم الصبر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نبذة يسيرة عن فضيلة الشيخ أسامة سليمان رحمه الله

محمد جمال الأخرس

الاسم: أسامة علي محمد سليمان.

تاريخ الميلاد: ٢٢- ٢- ١٩٦٢.

تاريخ الوفاة: ١٩- شوال- ١٤٤٥هـ، الموافق: ٢٨- أبريل- ٢٠٢٤م.

الدرجات العلمية:

- حاصل على بكالوريوس تجارة عام ١٩٨٤م.
- ليسانس أصول الدين قسم التفسير ١٩٩٧م- الأزهر.
- تمهيدي- ماجستير كلية دار العلوم- العقيدة ٢٠٠٠م.
- ماجستير من كلية دار العلوم قسم العقيدة.

وعنوانها: المنهج الأخلاقي عند الحافظ ابن أبي الدنيا والحافظ الخرائطي.

- شرع في دراسة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية (منهج دراسة العقيدة بين سيد قطب و الطاهر ابن عاشور)، ولم يكملها.
- بدأ الدعوة إلى الله منذ عام ١٩٧٩ – ١٩٨٠م
- كاتب بمجلة التوحيد "مقال شهري".

المناصب التي تولاها:

- مؤسس ورئيس فرع أنصار السنة المحمدية بفاقوس.
- مدير شئون القرآن ومدير إدارة المشروعات.
- أمين الصندوق بالمركز العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر.

مصنفاته:

- فتح المنان ببيان أمثال القرآن.
- الشفاعة: مفهومها- الرد على منكريها.
- عذاب القبر.
- فصل الخطاب في اعتقاد أولي الألباب.
- صحيح الأذكار من هدي النبي المختار.

بعض شروحات الشيخ:

شرح المنظومة البيقونية- مصطلح الحديث، سلسلة في شرح أصول الفقه، التعليق على العدة شرح العمدة - الفقه، دروس في تفسير القرآن الكريم، شرح صحيح البخاري، قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، شرح الأرجوزة الميئية، شرح القواعد الفقهية، شرح منظومة عنوان الحكم، شرح كتاب مباحث في علوم القرآن الكريم، شرح منظومة الآداب الشرعية، شرح المنظومة_الفقهية إلى البيت، شرح صفة صلاة النبي عليه الصلاة و السلام.

وكان للشيخ دروس وخطب في مساجد كثيرة:

وأغلبها مساجد أنصار السنة والجمعية الشرعية وفي معظم المحافظات وللشيخ أسلوبه الطيب وروحه المرحة، مع سلامة المعتقد، وقد عاش الشيخ داعية يدعو لنشر السنة وهدم البدع، وله صولات وجولات في سائر حياته الدعوية وبدأ الشيخ دعوته بمسجد العطار بفاقوس ومسجد التوحيد بالغزالي، وغيرها من مساجد جمعية أنصار السنة المحمدية بفاقوس متأسيًا بشيخيه ورفيقيه الشيخ محمد صفوت نور الدين، والشيخ صفوت الشوادفي، رحمهم الله أجمعين.

الجفاء بين الفقهاء والمعاملات المعاصرة

وبيان حكم مبادرة سيارات المغتربين

"الفقه" لا يستغني عنه أحد في كل أمور معاشه، فبه يتعبد ربه، وبه يعرف الحلال والحرام، ولايهدى الله إليه إلا من أراد به الخير، لما رواه الشيخان عن معاوية رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين". (متفق عليه).

إعداد **د. أيمن خليل**
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

ومن فروع الفقه التي تحتاج إلى الغوص في بحورها وسبر غورها "المعاملات"، التي نَظَمَهَا فقهاؤنا في مصنفاتهم على النحو الأمثل ففرعوا المسائل واستقصوا ولم يألوا جهدًا- وفقًا لما كان في عصرهم-، ولكن لما تباعد العهد وكُثرت النوازل، مع ما ألم بالأمة الإسلامية من ضعف وخور أدى إلى تراجع دورها في الريادة، عجز الفقهاء عن مواكبة عصرهم، ونتيجة النكبات السياسية التي انتهت بالأمة الإسلامية إلى أن تصبح في ذنب الأمم بعدما كانت تحمل مشعل الحضارة ولها دون سواها الريادة. ولما كان ضعف الأمة لا يقتصر على جانب دون جانب وإنما يضرب في كل جنباتها، ومن ثم أصابها الضعف العلمي الذي لا يُنكر، والذي لم يسلم منه الفقه الإسلامي والذي لم يكن بمعزل عن نكبات الأمة وإنما أصابه ما أصابها، فاتسعت الهوة التي تفصل بين واقع الناس والفقه، وخاصة في جانب معاملاتهم.

تقاصر الفقهاء عن مواكبة المعاملات المعاصرة: فما زال البعض حتى الآن ممن يصنف في البيوع والمعاملات يضرب المثل ببيوع الغرر ببيع العبد الآبق، وحبل الحبلة، والطير في الهواء والسمك في الماء، ويمثل للغرر اليسير (ببيع الجبة والتي لا يرى حشوها)، وهي أمثلة ضربها فقهاؤنا الأولون بما كان في زمانهم؛ فكانت أمثلة معاصرة يعيها من يسمعها؛ فينتفع بها ويطبقها على واقعه فيصوب معاملاته لتستقيم شرعًا، أما في عصرنا الحالي فنحتاج إلى أمثلة من واقع الناس يتعاملون بها ويدركون مرامها. ويعرفون بها حكم المعاملات التي يتعاملون بها في عصرهم.

هذا العصر الذي أعقب زمن الضعف والخور

الذي استبدلت فيه القوانين الأوروبية بالفقه الإسلامي، وصارت هذه القوانين تتطور وتتغير كلما دعت حاجة الناس إلى ذلك، وانقطع قطاع كبير من فقهاء القانون لإثراء القانون بالدراسة والنقد والإضافة فاستطاعوا مواكبة عصرهم، وكذلك فعل رجال الاقتصاد، ولكنهم جميعًا انشغلوا بالاقتصاد وبالقانون عما عداه، فالتفتوا- في الجملة- عن أحكام الفقه الإسلامي وأعرضوا عنها صفحًا مكتفين بتخصصاتهم، ففقدت الأمة الإسلامية هؤلاء الفقهاء النابهين كرافد رئيس لرفعتها ولإعادة التوافق بين الفقه وواقع الناس.

وفي نفس الوقت نجد رجال الفقه الإسلامي- في الجملة- وقد وقع التنافر بينهم وبين الاقتصاد والقانون، فزهدوا فيها ولم ينشغلوا بالإحاطة بها علمًا، وأعرضوا عن تكييفات فقهاء القانون للمعاملات الحديثة الناشئة، كما بعد العهد بينهم وبين رجال الاقتصاد؛ فجاءت فتاواهم مخالفة للواقع، فأدى ذلك إلى بعد العهد بين الفقه وواقع الناس، وتقاصرت الأحكام الفقهية عن ملاحقة معاملات الناس وتطورها.

وفي المقابل فإن ثلة من رجال القانون صارت في واد وشرع الله في واد آخر، حال أنه يجب على فقهاء القانون أن يكونوا على علم بما حرم الله ليجتنبوه؛ وما عداه فالأمر على الإباحة، فلهم أن يجتهدوا فيه كيف شاءوا لتحقيق مصالح الناس، كما وقع التنافر بين علماء الاقتصاد وبين الشريعة الغراء فروجوا لأنظمة اقتصادية ولمعاملات لا تتفق مطلقًا مع الفقه الإسلامي. وقد أدى هذا التنافر إلى وجود انفصام في شخصية المسلم، لوجود العديد من المعاملات التي تصادم الفقه الإسلامي، مثلما حدث في سندات القروض التي نظم القانون كافة جوانبها وأجاز اللجوء إلى القضاء لاقتضاء الفوائد المتولدة عنها، بل وأجاز شهر إفلاس الشركة التي تتوقف عن سداد هذه الفوائد في مواعيد استحقاقها، حال أن هذه السندات بميزان الشرع من الربا المحرم في كافة الشرائع السماوية.

> “ بُعد العهد بين كثير من الفقهاء المعاصرين وبين المعاملات المالية المستجدة والنوازل العارضة. ”

وحيث أفرز الواقع سيلا جارفًا من المعاملات الحادثة التي أفرزتها الهندسية المالية تترًا، لتفد إلى ديارنا ليتلقفها فريق من الناس تعاملوا بها حتى أصبحت واقعًا يتعامل به الناس كمعاملات البنوك باختلاف أنواعها وتنوعها، وعقود الفوركس، والنقود الرقمية، وعملة البيتكوين، والأوراق مالية المستحدثة والأدوات والمشتقات مالية.

الفريق المبيح لكل المعاملات المعاصرة حتى وإن اشتملت على مخالفات شرعية ظاهرة: تعامل فريق من الناس مع المعاملات المعاصرة زمنًا طويلا دون أن يسألوا عن حكمها وصارت واقعًا يعيشونه، ثم بدأوا يسألون عن حكم هذا الواقع ومدى توافقه مع الشرع، كما حدث مع البنوك التجارية وعقود التأمين وغيرها.

وفي سبيل الإجابة عن ذلك التساؤل نجد انقسامًا بين المنتسبين إلى الفقه الإسلامي فنجد فريقًا ينتهج منهج الإقرار لكل معاملة صارت واقعًا في حياة الناس ويرون أن ذلك من سماحة الشريعة ومن يسرها، وكأن الفقه الإسلامي لم يشتمل على بيوع محرمة وعلى أسباب تؤدي لفساد

البيوع والمعاملات، فقبل هذا الفريق كل معاملة مستحدثة بدعوى استصحاب الأصل وهو الحل، ولكن دون نظر إلى الطوام التي تشتمل عليها بعض هذه المعاملات من محرمات صريحة، ولذا أباح بعضهم معاملات الفوركس (والتي تسمى ببورصة المعاملات الآجلة على العملات الأجنبية) رغم أن هذه المعاملات تتم بالعملات الأجنبية بالأجل ولم ينتبهوا إلى أن الفوركس هو من عقود الصرف التي يشترط فيها التقابض بمجلس العقد كما هو ثابت بالسنة والإجماع، وإن لم يتحقق التقابض، كانت المعاملة من ربا النسيئة المحرم. كما أباح هذا الفريق المعاملة المستحدثة المعروفة باسم " سيارات المغتربين" والتي نعرض لحكمها فيما يلي، بل وبلغ الغلو ببعضهم إلى القول بأن كل معاملة لم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهي مباحة، وبهذه الذريعة أباحوا كافة معاملات البنوك التجارية رغم وجود مخالفات شرعية ظاهرة بها كالربا بأنواعه، وأباحوا التأمين التجاري رغم اشتماله على الربا والقمار والغرر.

الفريق المحرم لكل المعاملات المعاصرة:

على النقيض من هؤلاء الذين يبيحون كل معاملة من غير تمحيص، نجد فريقًا آخر يتأسى بابن حزم الأندلسي (عليه رحمة الله) في تحريمه لكل معاملة مستحدثة لمجرد كونها معاملة مُحدثة وإن لم تشتمل على سبب لتحريمها (كالغرر، أوالقمار، أوالربا) وهؤلاء صادموا سنة تطور الحياة؛ ووقفوا عائقًا أمام تطور الفقه الإسلامي ومواكبته لواقع الناس.

> “ بلغ الغلو ببعضهم إلى القول بأن كل معاملة لم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهي مباحة. ”

الموقف الحق من المعاملات المعاصرة:

على خلاف الفريقين السابقين؛ نجد فريقًا ثالثًا انتبَه إلى أن الأحكام التكليفية هي أحكام تَعبّدَ الله الناسَ بها، فما أمرهم به فهو واجب يجب عليهم فعله وإلا أثموا، وما ندبهم إليه أثابهم على فعله، وما نهاهم عنه على سبيل الإلزام فهو محرم يأثموا ويعاقبوا بفعله، وما كرهه لهم ينبغي اجتنابه حتى يُحَصّلوا المثوبة، وما أباحه لهم فهو عفو يستوي فيه الفعل والترك، كما علموا أن من حرم ما لم يحرمه الله فهو متجرئ على الله سبحانه مستحق لعقابه، ومن أباح ما حرمه الله كان منتهكًا لمحارم الله مستحقًا للعقاب، وقد حذر سبحانه وتعالى من ذلك كله بقوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» (النحل: ١١٦). وقوله عزوجل: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ» (آل عمران: ٦٤). والمقصود بقوله تعالى ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله؛ ألا نحل ما حرم الله، ولا نحرم ما أحل الله سبحانه، وقريب من هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ» (التوبة: ٣١)، والمعنى ليس أنهم صرفوا العبادة لهم من دون الله سبحانه، وإنما المقصود أنهم أطاعوهم في استباحة ما حرم الله سبحانه، وفي تحريم ما أحل الله لهم.

ولذلك أباح هذا الفريق الأخير من الفقهاء سائر المعاملات ولم يحظروا إلا ما اشتمل على سبب مفسد للمعاملة كالنهي عن عين المبيع،

أو اشتمالها على لغرر أو الربا أو القمار، وهذا هو ما نتدين لله عز وجل به.

أسباب فساد المعاملات في الفقه الإسلامي:

ينبغي على من يشتغل بفقه المعاملات أن يصطحب معه هذا الأصل وأن يجعله دومًا صوب ناظريه وهو: أن فساد المعاملات في الفقه الإسلامي يرجع إلى أحد أربعة أسباب هي:

١- تحريم عين المبيع.
٢- ما يشوب المعاملة من ربًا.
٣- ما يشوب المعاملة من قمار.
٤- ما يشوب المعاملة من غرر.

فيجب عرض كل معاملة من المعاملات المعاصرة على هذا الأصل لنرى هل اشتملت هذه المعاملات على شيء من المفسدات أم لا؟، لأن الحكم يتغير في الحالين.

> “فساد المعاملات في الفقه الإسلامي يرجع إلى أحد أربعة أسباب.”

وحينما نعرض لأي معاملة من المعاملات المعاصرة تحدونا رغبة صادقة في بيان وجه الحق في كل مسألة بتجرد وإنصاف، وبلا غلو ولا تفريط، لأنه يستوي في الذم والقدح المتشدد المغالي المحرم لما أباح الله، والمفرط المنتهك لمحارم الله المستبيح لحياضها، فلا فارق بين من حرم ما أباح الله، ومن أباح ما حرم الله، فكلاهما آثم في حكم الشرع، ولاستشعارنا بخطورة هذا الأمر فإني حينما أعرض لحكم في مسألة من المسائل المعاصرة أحرص ألا يكون ذلك إلا بعد صلاة استخارة، وبعد تذلل وتضرع لله سبحانه أن يرزقني الفهم الصائب والسداد والإصابة للحق، فإن تحقق ذلك فلله وحده سبحانه وتعالى الفضل والمنة، وإن كانت الأخرى فإني مقر بأن ذلك كان بما كسبت يداي، وأسأله سبحانه أن يغفر لي الزلل وأن يقيل العثرة وألا يؤاخذني بما كسبت يداي، إنه هو الغفور الرحيم.

خاصة وأن الفقه من العلوم الشاقة، فهو علم تفنى دونه الأعمار دون أن يطمع المرء في تحصيله، وإن علم المرء منه جانبًا فقد جهل منه جوانبَ، وما أجمل مقولة الإمام أبي المظفر السمعاني التي نقلها عنه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى وهو يتكلمَ في مسألة في باب الربا، وهي مسألة أن العلة الطعم، فيقول أبو المظفر السمعاني: "... الفقه صعب مرامه، شديد مراسه، لا يعطى مقاده لكل أحد، ولا ينساق لكل طالب، ولا يلين في كل يد؛ بل لا يلين إلا لمن أيد بنور الله في بصره وبصيرته ولطف منه في عقيدته وسريرته...".

تطبيق على مبادرة سيارات المغتربين:

تساءل العديد من المصريين المغتربين، عن المبادرة التي أعلنت عنها وزارة المالية والتي عرفت بمبادرة "سيارات المغتربين"، والتي تبيح للمغترب أن يحضر سيارة واحدة من الخارج معفاة من سداد الجمارك شريطة أن يسدد قيمة هذه الجمارك بالدولار الأمريكي الآن، ثم يحصل على قيمة هذه الدولارات بعد خمس سنوات بسعر يومها بالجنيه المصري، والسؤال بالطبع عن حكم هذه المعاملة، وهي معاملة من المعاملات المعاصرة المستحدثة.

وخلاصة حكم هذه المعاملة أنها في حقيقتها عقد صرف، بموجبه يتم دفع الدولارات اليوم، ويتم سداد قيمتها (والتي هي مجهولة) بعد خمس سنوات، وعقد الصرف من العقود التي يجب فيها التقابض في مجلس العقد.

وقد وردت أحاديث عديدة في وجوب

التقابض في عقد الصرف منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إلا مِثْلًا بِمِثْلٍ ولا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلا تَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إلا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلا تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ". (متفق عليه).

كما يدل على وجوب التقابض في عقد الصرف ما أخرجه الشيخان عن مالك بن أوس بن الحدثان، أنه قال: أقبلت أقول من يصطرف الدراهم؟ فدعاني طلحة بن عبيد الله، فتراوضنا حتى اصطرف مني، فأخذ الذهب يقلبها في يده، ثم قال: أرنا ذهبك، ثم ائتنا إذا جاء خازني من الغابة (موضع بالمدينة) نعطك ورقك، وعمر يسمع ذلك، فقال عمر بن الخطاب: كلا والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبًا إلا هَاءَ وَهَاءَ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ رِبًا إلا هَاءَ وَهَاءَ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِبًا إلا هَاءَ وَهَاءَ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِبًا إلا هَاءَ وَهَاءَ". (متفق عليه).

وقد نقل ابن حجر في شرحه لهذا الحديث الإجماع على وجوب التقابض في الصرف حيث يقول: " واشتراط القبض في الصرف متفق عليه ".

والمقصود من قوله: "هاء وهاء" أن يتقابضا في المجلس، واستدل به على اشتراط التقابض في الصرف في المجلس، وهو قول أبي حنيفة والشافعي و مالك، بل واشترط مالك عدم تراخي القبض في الصرف سواء أكانا في المجلس أم تفرقا.

وعدم جواز بيع الذهب بالفضة (أي الدنانير بالدراهم) إلا مع التقابض، يفيد اشتراط التقابض واتحاد المجلس في عقد الصرف، وعقد الصرف كان قديما يتم بين الدنانير الذهبية- التي كانت تضرب ببلاد الروم- وبين الدراهم الفضية- والتي كانت تضرب ببلاد فارس- أما الآن فيمتد عقد الصرف إلى مبادلة العملات بجنسها ومن غير جنسها، فيشمل عقد لصرف الآن بيع العملات الأجنبية ببعضها البعض أو بالعملات الوطنية.

ومن ثم يتبين أن هذه المعاملة في حقيقتها عقد صرف ولأن عقد الصرف لم يتم فيه التقابض فهو عقد ربوي محرم، فهذا العقد لم يتم التقابض فيه بمجلس العقد وإنما سيتم بعد خمس سنوات، ومن ثم يكون عقدًا فاسدًا غير جائز لاشتماله على ربا النسيئة. هذا مع ملاحظة أن المعاملة اشتملت على العديد من الشروط، وهو أيضًا لا تصح معه المعاملة ولكن يكفي لبطلانها تحقق ربا النسيئة فيها. والله تعالى أعلم.

إشهار فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بكفر أبراش

بعد الاطلاع على قانون تنظيم ممارسة العمل الأهلي رقم (١٤٩) لسنة ٢٠١٩م ولائحته التنفيذية، وعلى مذكرة إدارة الجمعيات بتاريخ ٢٠٢٤/٣/٢٠ بشأن إجراءات قيد جمعية أنصار السنة بكفر أبراش.

قررت جمعية أنصار السنة إشهار فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بكفر أبراش، مركز مشتول السوق، محافظة الشرقية، بموجب القرار رقم (٣٨٤١) بتاريخ ٢٠٢٤/٣/٢٠م.

وصية نوح عليه السلام

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فعن عبد الله بن عمرو، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل من أهل البادية، عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج؛ فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس. قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس، ويرفع كل راع ابن راع.

قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجامع جُبَّته، وقال: ألا أرى عليك لباس مَن لا يعقل.

ثم قال: إن نبي الله نوحًا لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصٌ عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع، والأرضين السبع، لو وُضعت في كفة، ووُضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع، والأرضين السبع، كن حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله. وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزَق الخلق. وأنهاك عن الشرك والكبر.

قال: قلت أو قيل يا رسول الله: هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر؟ الكبر أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا.

قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا.

قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا.

قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا.

قيل: يا رسول الله، فما الكبر؟ قال: سَفَه الحق، وغمص الناس.

مسند الإمام أحمد: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب وصية نوح عليه السلام.

وأخرجه الطبراني، والبزار كما في كشف الأستار، ورواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(١٣٤).

وأورده ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية وعنون له بعنوان: ذكر وصيته لولده عليه الصلاة والسلام، وقال: وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه.

ورواه أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الرحيم بن سليمان.

شرح المفردات:

جبة سيجان: بالإضافة. والسيجان- بكسر السين- جمع ساج: كالتيجان جمع تاج. والساج: هو الطيلسان الأخضر.

ألا: بالتخفيف.

مبهمة: أي مغلقة كما يدل عليه السياق.

قصمتهن: أي: قطعتهن وكسرتهن.

وفي رواية: فصمتهن بالفاء.

قال ابن الأثير: القصم: كسر الشيء وإبانته، وبالفاء كسره من غير إبانة. فهو بالفاء أليق بالمعنى. والله أعلم.

وسبحان الله: عطف على- لا إله إلا الله- في قوله: آمرك بلا إله إلا الله. وهذه هي الخصلة الثانية.

قال: الكبر: أن يكون: أي: قال السائل على سبيل الاستفهام.

سفه الحق: أي جهله، والاستخفاف به، وأن لا يراه على ما هو عليه من الرجحان والرزانة.

وقيل: هو أن يرى الحق سفهًا باطلاً، فلا يقبله، ويتعظم عنه.

وفي حديث لمسلم: "بطر الحق"... والمعنى واحد.

غمص الناس: أي احتقارهم والطعن فيهم والاستخفاف بهم.

وفي الحديث الآخر: "غمط الناس"، والمعنى واحد أيضًا.

وعلى هذا فذكر هذا الحديث في ذلك المجلس للدلالة على لبس الثوب المرتفع، وإن لم يكن كبرًا، إلا أنه قد يؤدي إليه، والله تعالى أعلم.

من فوائد الحديث:

- كراهة لبس الطيلسان والتشبه بغير المسلمين.
- مشروعية الوصية عند الوفاة.
- فضيلة التهليل والتسبيح، وأن التسبيح سبب رزق الخلق.
- الميزان يوم القيامة حق ثابت وله كفتان، وهو من عقائد أهل السنة.

قوله صلى الله عليه وسلم: (وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلاةُ كُلِّ شَيْءٍ) في معنى قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (الإسراء:٤٤). يعني: يسبح بحمده سبحانه كل شيء. قال ابن كثير رحمه الله: "أَيْ: وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ؛ لأنها بخلاف لغاتكم، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات".

وقال السعدي رحمه الله: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ: من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجماد وحي وميت إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ بلسان الحال ولسان المقال. وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب ولذلك فإن العلماء يروون حديث تسبيح الحصى بيد النبي صلى الله عليه وسلم عند تفسير هذه الآية.

وبها يُرْزَقُ الْخَلْقُ: أي: إنَّ التسبيح من مفاتيح الرزق على العباد. وذلك باعتبارين: الاعتبار الأول: أن التسبيح تنزيه الله أن يكون معه نظير يخلق معه الخلق أو يرزقهم، قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الروم: ٤٠). فالتسبيح شهادة من العبد أنه لا رازق إلا الله، كما أنه لا خالق إلا الله، ولا محيي ولا مميت إلا هو سبحانه، وهذه الشهادة أول مفاتح الرزق.

الاعتبار الثاني: الحمد في قوله: سبحان الله وبحمده يفتح أبواب الرزق ويزيد النعمة، كما قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم: ٧). قال ابن كثير رحمه الله: أَيْ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ مِنْهَا.

ألا أرى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لا يَعْقِلُ: لأنه يرتدي جبة من سيجان، والسيجان جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، مزرورة بالديباج، وهو من الحرير الطبيعي.

والطيلسان من لباس العجم، وليس من لباس العرب وجمعه طيالسة. والطَّيْلسانُ: شالٌ، وشاح، كساء أخضر يضعه بعض العلماء والمشايخ على الكتف. يُقال في الشَّتْم: يَا ابْنَ الطَّيْلَسَانِ، أي إِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ، لأَنَّ العَجَمَ هم الَّذين يَتَطَيْلَسُون.

نقله الزَّمَخْشَرِيُّ والصَّاغانيُّ. انتهى.

وتشبه العربي بالعجمي من السفه وقلة العقل، ولذلك قال له: ألا أرى عليك لِباسَ مَنْ لا يَعْقِلُ.

قال ابن القيم: «وأما الطيلسان فلم يُنقل عنه أنه لبسه، ولا أحد من أصحابه، بل قد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال، فقال: «يخرج معه سبعون ألفًا من يهود أصبهان، عليهم الطيالسة».ح(٢٩٤٤) ورأى أنس جماعة عليهم الطيالسة، فقال: ما أشبههم بيهود خيبر.

ومن ها هنا كره لبسها جماعة من السلف والخلف؛ لما روى أبو داود، والحاكم في المستدرك، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تشبه بقوم، فهو منهم»(وصححه الألباني).

وقال المرداوي في الإنصاف: ويكره الطيلسان في أحد الوجهين. قال ابن تميم: وكره السلف الطيلسان، واقتصروا عليه. والوجه الثاني: لا يُكره، بل يُباح.

وصية الله عز وجل للأولين والآخرين بتقوى الله تعالى:

قال الله عز وجل: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا» (النساء ١٣١): اتقوا الله بالإيمان به وبرسالاته وبطاعة الله وطاعة رسوله، ثم حذرهم من الكفر، وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تؤمنوا وتتقوا وتشكروا يرضه لكم فإن الله شكور حميد، مع غناه عنكم وعن العالمين يشكر لكم إيمانكم وتقواكم ويثيبكم عليه بالجزيل.

والتقوى وصية نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؛ لما وعظ الناس موعظة بليغة، وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقالوا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله حيثما كنت(أحمد وحسنه والألباني).

والتقوى المشتملة على الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسوله وصية جميع الرسل الكرام لأقوامهم، والرسل هم أنصح الناس للناس، وهم أعلم الناس بما يصلح الناس، فكل الرسل قد وصوا أقوامهم بالإيمان وبتقوى الله عز وجل.

وصية الله للنبيين والمرسلين ولخاتمهم محمد صلى الله عليهم أجمعين:

قال الله تعالى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» (الشورى: ١٣-١٥).

الوصايا العشر في سورتي الأنعام والإسراء:

في القرآن الكريم آيات أطلق عليها بعض العلماء آيات الوصايا العشر؛ نظرًا لاشتمالها على عشر وصايا عظيمة من الله للبشر، وهذه الآيات في موضعين من القرآن الكريم:

الأول في سورة الأنعام في قول الله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى

وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢) وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» (الأنعام: ١٥١- ١٥٣).

والثاني في سورة الإسراء، ويكاد أن يكون شرحًا للموضع الأول:

قال الله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٢٤) ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا (٢٥) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا (٢٦) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (٢٧) وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (٢٨) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (٢٩) إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا (٣٠) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا (٣١) ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا(٣٢) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا (٣٣) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا (٣٤) وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا (٣٥) ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا (٣٦) ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا» (الإسراء: ٢٣- ٣٩).

وصية الله عز وجل بالوالدين حسنًا واحسانًا

«ووصينا الإنسان بوالديه حسنا» (العنكبوت: ٨).

«ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا» (الأحقاف: ١٤).

وصية إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام

قال الله تعالى: «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» (البقرة:١٣٢)؛ يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لما حضرته الوفاة دعا بنيه؛ فكان يسألهم ما تعبدون من بعدي؟

يريد يعقوب أن يطمئن على ولده وعلى شجرة الإيمان التي غرسها في قلوبهم وعلمها لهم قالوا: «نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»؛ فاطمأن يعقوب عليه السلام، وارتاح لذلك قلبه، وعلم أن أولاده سوف يرثون الإيمان من بعده، ويحملون راية التوحيد التي حملها، وحملها من قبله آباؤه إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق.. وهذا من تمام فضل الله ونعمته عليهم.

ولهذا قال لولده يوسف عليهما السلام: «وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم» (يوسف: ٦).

وقد شرع الله عز وجل لنا الوصية في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم؛ قال الله عز وجل: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين» (البقرة: ١٨٠).

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما حق امرئ له شيء يُوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"(متفق عليه).

هل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته من بعده بشيء؟

هذا حديث يطول... يسّر الله لنا بيانه في الحلقة القادمة، إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة
1

تزويج أم كلثوم من عثمان، رضي الله عنهما

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛ فنحن في هذا العدد على موعد مع أيام السعادة والسرور في حياة نبينا صلى الله عليه وسلم ألا، وهو زَوَاجُ عُثْمَانَ-رضي الله عنه- مِنْ أُمِّ كُلْثُومِ بِنْتِ الرَّسُولِ-صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنها.

إعداد **د. سيد عبد العال**
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

ملخص الحدث:

فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ تَزَوَّجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عَنْه أُمَّ كُلْثُوم بِنْت الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم؛ قال الذَّهَبي: "البَضْعَةُ الرَّابِعَةُ النَّبَوِيَّةُ يُقَالُ: تَزَوَّجَهَا عُتَيْبَةُ بنُ أَبِي لَهَب، ثُمَّ فَارَقَهَا، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ أُخْتُهَا رُقَيَّةُ، تَزَوَّجَ بِهَا عُثْمَانُ-وَهِيَ بِكْرٌ!- فِي رَبِيْعِ الأَوَّلِ، سَنَةَ ثَلاَث، وَلَمْ تَلِدْ لَهُ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَ عثمان رضي اللَّه عنه ذا النورين". سير أعلام النبلاء (٢/٢٥٢)، والإصابة (٨/٤٦٠).

وفي هذا الخبر فوائد:

الأولى: ذكر بنات النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن

كان له صلى الله عليه وسلم أربع بنات:

الأولى: زِينب، وهي أكبرهن سنا تَزَوَّجَهَا ابْنُ خَالَتِهَا أَبُو الْعَاصِي بْنُ الرَّبِيعِ.

الثانية: رُقَيَّةُ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ...

الثالثة: أُمُّ كلثوم- أُمُّهَا خَدِيجَةُ-.

الرابعة: فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ، وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاته، وَتَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا فِي السَّنَةَ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي رَمَضَانَ. الشريعة للآجري (٥/٢١٩٢)، والإصابة في الذب عن الصحابة (٣٨٦)، وتفسير القرطبي (١٤/٢٤١).

وأما الذكور؛ فهم القاسم، والطيب، والطاهر وماتوا صغارا رضعا قبل المبعث، وابراهيم وقد مات بعد البعثة، ، وأولاده كلهم من خديجة سوى إبراهيم. رضي الله عنهم أجمعين. سير أعلام النبلاء (١/٦٣).

الثانية: لم نقف لأم كلثوم على اسم غير هذه الكنية سوى رواية ذكرها الحاكم عن مُصْعَب ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيِّ، قَالَ: "وَاسْمُ أُمِّ كُلْثُوم بِنْت رَسُولِ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَيَّةُ... إلَخ". المستدرك على الصحيحين (٧٠٤٩).

الثالثة: في هذا الزواج منقبة وفضيلة لعثمان رضي الله عنه:

وقد حمل بغض عثمان قومًا من الروافض أن يقولوا: إن رقية، وأم كلثوم لم يكونا لخديجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانما كانتا من زوجها الأول؛ فقبَّح الله قومًا حملهم بغض نقلة الوحي وحملة الشريعة على نفي نسب بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يزعمون حب آل البيت؛ فلا ظهر منهم حبُّ آل البيت ولا استتر منهم بغض حابة وأعجب منهم من يدعي: أنهم

المذهب الخامس، وأنهم أحد جناحي الأمة!

قال إبراهيم الحيدري: ومنها-الخلاف بينهم وبين الله تعالى- أن الله تعالى قد أثبت للنبي صلى الله عليه وسلم بنات بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ...»: وخالفت الشيعة في ذلك، حيث قالوا لعنهم الله تعالى: ليست للنبي صلى الله عليه وسلم من بنات إلا فاطمة رضي الله عنها، وأما زينب ورقية، وأم كلثوم-رضي الله تعالى عنهن- فلسن بنات النبي صلى الله عليه وسلم عندهم، بل بنات خديجة رضي الله عنها من زوجها الأول؛ حملتهم شدة بغض عثمان رضي الله عنه على إنكار كونهن بنتي النبي صلى الله عليه وسلم وانكار القرآن... النكت الشنيعة (ص٥٦).

الرابعة: لا يخفى ما في القصة من وقوع المصاهرة بين الصحابة، ومنهم بنو أمية وبين آل البيت بوحي من الله تعالى.

وأشرف منهم وأكرم، سيد ولد آدم، إمام أهل البيت وسيدهم، تزوج من ابنتي أبي بكر وعمر «عائشة وحفصة»، رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا عمر بن الخطاب تزوج من أم كلثوم بنت علي وفاطمة رضي الله عن الجميع. وعلي تزوج من أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق بعد وفاته رضي الله عنهم. وهكذا ترى مصاهرات مشهورة معلومة. (الإصابة في الذب عن الصحابة: ص٣٨٥).

الخامسة: موقف عظيم يحتاج إلى وقفة تأمل:

عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أن عمر بْنَ الخَطَّاب، حينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَة، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْه حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْه أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ "خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ" فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا. (البخاري: ٤٠٠٥).

وراه أبو يعلى في مسنده وزاد فيه: قَالَ عُمَرُ: فَشَكَوْتُ عُثْمَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "تَزَوَّجَ حَفْصَةَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ، وَتَزَوَّجَ عُثْمَانُ خَيْرًا مِنْ حَفْصَةَ" فَزَوَّجَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ. وفي سنده الوليد بن محمد الموقري وهو ضعيف. (مجمع الزوائد ٧٤٥٩).

ويشهد له مرسل عَنْ سَعِيد بْنِ الْمُسَيَّب قَالَ: "آمَتْ حَفْصَةُ مِنْ زَوْجِهَا، وَآمَ عُثْمَانُ مِنْ رُقَيَّةَ، فَمَرَّ عُمَرُ بِعُثْمَانَ: فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي حَفْصَةَ؛ فَقَد انْقَضَتْ عِدَّتُهَا؛ فَلَمْ يُجِبْ إِلَيْه شَيْئًا؛ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: "فَأَنَا أَتَزَوَّجُ حَفْصَةَ، وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُوم" قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَنَعَمْ فَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حَفْصَةَ، وَتَزَوَّجَ عُثْمَانُ أُمَّ كُلْثُوم" أخرجه إسحاق بن راهويه (٢٠٣/٤)، والحاكم في المستدرك (٦٩٢٠) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد.

وأخرجه ابن سعد (٨٣/٨) من طريق حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن علي بن زيد... وزاد حماد بن زيد في حديثه: قال سعيد: فخار الله لهما جميعا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفصة خيرا من عثمان، وكانت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرًا من حفصة بنت عمر. وفيه علي بن زيد ضعيف. تقريب التهذيب (٤٧٣٤).

وقال ابن عبد البر: وفي الحديث الصحيح، عَنْ سَعيد بْن المسيب... ثم ذكره. (الاستيعاب ١٨٤٠/٤)، وروي مرسلاً أيضًا عن الحسن أخرجه ابن سعد (٨٢/٨، ٨٣) ورواته ثقات.

فهذه المراسيل في جملتها وتعدد مخارجها تثبت هذه الزيادة مع ما فيها من فوائد تبدو لمن تأمل فيها، وأما فوائد الحديث فسنعود إليها في الكلام في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من حفصة رضي الله عنها. وروي

نحوه مرفوعًا عن أنس رضي الله عنه في المستدرك (٧٠٥١).

السادسة: دفع تعارض بين الروايات:

عَنْ ربعي بنِ حرَاش عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّان رَضِيَ اللَّه عَنْه، أَنَّهُ خَطَبَ إِلى عُمَرَ ابْنَتَهُ، فَرَدَّهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَنْ رَاحَ إِلَيْه عُمَرُ قَالَ: "يَا عُمَرُ، أَلا أَدُلُّكَ عَلَى خَتَنٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ، وَأَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ؟" قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: "زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ، وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ ابْنَتِي" إسناده حسن لغيره. أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٦٢٧) وقال: صحيح الإسناد. قَالَ ابنُ حجر: قال الحافظُ الضِّياءُ: إِسْنَادُهُ لا بَأْسَ بِهِ. فتح الباري (٩/١٧٧).

وهذا الحديث في ظاهره مخالفة لرواية الصحيح السابقة؛ ففيها أن عثمان هو الذي خطب، وعمر هو الذي امتنع، وعند البخاري عمر هو الذي عرضها، وعثمان هو الذي امتنع.

فإذا سلكنا مسلك الترجيح؛ فما في الصحيح هو الراجح وإذا سلكنا مسلك الجمع: "فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عُثْمَانُ خَطَبَ أَوَّلاً إِلَى عُمَرَ فَرَدَّهُ؛ لأَيِّ سببٍ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي لا غَضَاضَةَ فيهَا عَلَى عُثْمَانَ فِي رَدِّ عُمَرَ لَهُ ثُمَّ لَمَّا ارْتَفَعَ السَّبَبُ بَادَرَ عُمَرُ فَعَرَضَهَا عَلَى عُثْمَانَ رِعَايَةً لِخَاطِره وَلَعَلَّ عُثْمَانَ بَلَغَهُ مَا بَلَغَ أَبَا بَكْر مِنْ ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لَهَا فَصَنَعَ كَمَا صَنَعَ مِنْ تَرْكِ إِفْشَاءِ ذَلِكَ وَرَدَّ عَلَى عُمَرَ بِجَمِيلٍ". اهـ. فتح الباري (٩/١٧٧).

السابعة: أن تزويجها لعثمان بوحي نزل من السماء:

وهذا المعنى ثابت بكتاب الله تعالى في عموم أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم؛ ومنها تزويجه وزواجه حيث يقول تعالى: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى» (النجم: ٤).: وقد ورد في ذلك المعنى أحاديث في مجموعها تبلغ رتبة الحسن لغيره، ويشهد لأصلها ما سبق من كتاب الله تعالى، وقد أشار ابن بطة لذلك؛ فروى بسنده وهو ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى أوحى إليَّ أن أزوج كريمتيَّ عثمانَ بنَ عفان". ثم قال: وصدق صلى الله عليه وسلم؛ بذلك أخبرنا الله تعالى عنه حيث يقول: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى» (النجم: ٣، ٤). فأخبرنا الله تعالى أنه كان معصوما من الهوى، فلا يقول ولا يفعل، ولا يأمر ولا ينهى إلا بوحي الله وأمره وإذنه. (الإبانة لابن بطة: ١/٥٧)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لَقِيَ عُثْمَانَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِد فَقَالَ: "يَا عُثْمَانُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقُولُ لِي عَنِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي قَدْ زَوَّجْتُكَ أُمَّ كُلْثُوم عَلَى مِثْلِ مَا زَوَّجْتُكَ رُقَيَّةَ، وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا". أَخْرَجه أحمد في فضائل الصحابة (٨٥٨) وفيه ابن أبي الزناد ضعيف.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَ كَرِيمَتَيَّ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ" أَخرجه الآجري في الشريعة (١٤٠٦)، وسنده ضعيف.

وعن أم عياش قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء" وضعفه الألباني: الضعيفة (٤٤٤٥).

قلت: فكون الزواج بوحي يثبت بوجهين:

الأول: عام وهو ما ثبت من العصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اتباع الهوى قولاً وفعلا، وسواءً ما كان الوحي ابتداءً أو إقرارًا.

الثاني: خاص، وهو ثابت بجملة هذه الأحاديث إن ثبتت فهي حسنة بمجموعها صالحة للحجة تدل على أن زواج عثمان من ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بوحي من الله تعالى، وإن رغمت أنوف أعداء الصحابة؛ فالحمد لله على توفيقه.

وللحديث تكملة فيما يتصل بأم كلثوم وعثمان رضي الله عنهما، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

صفات التاجر المسلم

إعداد الشيخ صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. وبعدُ، فإن معاملات الناس اليومية تقوم على البيع والشراء، ولقد اهتمت الشريعة الإسلامية بأمور المعاملات بين الناس، فوضعت ضوابط ربانية المنهج ليسير عليها الناس في معاملاتهم فيسعدوا في الدنيا والآخرة. وهذه بعض الصفات التي ينبغي أن يتصف بها التاجر المسلم، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) صحة الاعتقاد:

يجب على كل تاجر مسلم أن يؤمن بأن شهادة لا إله إلا الله تعني أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن شهادة أن محمداً رسول اللهِ تعني أنه لا متبوع بحق إلا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يعلم أن الغاية من خلق الناس هي عبادة الله وحده، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:٥٦) وعليه أن يخلص أعماله في تجارته لله تعالى وحده، وأن يتجنب الشرك والرياء؛ لأن ذلك محبط للأعمال الصالحة.

قال تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (الزمر:٦٥، ٦٦).

(٢) حسن التوكل على الله:

على التاجر المسلم أن يتوكل على الله ويأخذ بأسباب الرزق الحلال له ولمن يعولهم. قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا) (الفرقان:٥٨)، وقال سبحانه: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)(الطلاق:٣).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا. (صحيح الترمذي للألباني حديث: ١٩١١).

(٣) الإكثار من الدعاء:

الدعاء سلوى المحزونين، ونجوى المتقين، ودأب الصالحين، فإذا صدر عن قلب سليم، ونفس صافية، وجوارح خاشعة، وَجَدَ إجابة كريمة من رب رحيم.فاحرص أخي التاجر الكريم،

على الدعاء في جميع الأوقات وخاصة الأوقات الفاضلة. لقد حثنا الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم وكذلك نبيه صلى الله عليه وسلم في سُنته المطهرة، على الإكثار من الدعاء.

قال الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦)، وقال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر: ٦٠).

وعَنْ سَلْمَانَ الفارسي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا. (صحيح أبي داود للألباني حديث ١٣٢٣)

(٤) المحافظة على إقامة الصلوات جماعة في المساجد:

إن إقامة الصلوات المفروضة جماعة في المساجد واجب على كل مسلم ذكر، بالغ، عاقل، قادر على الذهاب إلى المساجد، ولو بمساعدة الآخرين له، ولا يجوز التخلف عنها إلا لعذر شرعي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ. (البخاري ح٦٤٤، ومسلم ح٦٥١).

قال الإمام الشافعي (رحمه الله) (لا أرخص لمن قدر على صلاة الجماعة في ترك إتيانها إلا من عذر) (الأم للشافعي ج١ ص١٥٤).

ما أجمل أن نرى بعض المحلات قد أغلقها أصحابها وذهبوا لأداء الصلاة المفروضة، وقد تركوا على محلاتهم لوحة مكتوب عليها (مُغلقٌ للصلاة) إن قول المؤذن عند النداء للصلاة المفروضة (الله أكبر، الله أكبر) تعني: أن الله تعالى أكبر من المال والأهل والولد، وأنه سبحانه أكبر من كل شيء.

(٥) الإيمان بأن الله تعالى ضمن الأرزاق لجميع المخلوقات:

قال الله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) (الذاريات: ٢٢، ٢٣)، وقال سبحانه: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود: ٦).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» (صحيح الجامع للألباني، حديث:٢٠٨٥).

(٦) التفقه في الدين ومعرفة أحكام التجارة:

يجب على التاجر المسلم أن يتفقه في دين الله تعالى، بالقدر الذي يساعده على تصحيح عقيدته وعبادته لله تعالى، ولقد كان كثير من العلماء من التجار، ويجب على التاجر أيضاً أن يعرف الأحكام الشرعية الخاصة بالتجارة التي يمارسها وذلك بسؤال أهل العلم، حتى يتجنب الشبهات والوقوع في الحرام.

واعلم أخي الكريم أن طلب العلوم الشرعية، يرفع منزلتك عند الله تعالى وعند الناس؛ قال الله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: ١١).

وعن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ. (رواه البخاري ح٧١، ومسلم ح١٠٣٧).

(٧) حُسن اختيار التاجر لمعاونيه:

يجب على التاجر المسلم أن يُحسن اختيار من يساعده بحيث يكون من أهل العقيدة الصحيحة ومن أهل الصلاة والصدق والأمانة لأن الإنسان عادة يتأثر بمن يلازمه. فعَنْ

أَبي سَعيد الخدري أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم يقُولُ: لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طعامك إلاَّ تقيٌّ. (صحيح الترمذي: ح١٩٥٢).

(٨) استخارة الله تعالى ومشاورة أهل الخبرة الصالحين:

ينبغي على التاجر المسلم أن يعتاد على استخارة الله تعالى في جميع أمور حياته، وأن يستشير أهل الخبرة من الصالحين في الأمر الذي يريد أن يقدم عليه، وكان النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يُعلم أصحابه الإستخارة.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ. (رواه البخاري ١١٦٦).

(٩) الاستيقاظ مبكرا لطلب الرزق:

ما أجمل أن يستيقظ المسلم مبكراً لطلب الرزق الحلال، متبعاً في ذلك سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فعن صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا قَالَ: وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. (صحيح الترمذي ح٩٦٨).

(١٠) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة:

على التاجر المسلم أن يكون في تجارته من الدعاة المخلصين إلى الله تعالى فيحث الناس على الخير ويمنعهم ويحذرهم من الشر، قدر استطاعته، بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (آل عمران: ١١٠)، وقال سبحانه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (النحل: ١٢٥).

(١١) الابتعاد عن الشبهات:

يجب على التاجر المسلم أن يسأل أهل العلم عما يجهله من أمور الحلال والحرام وأن يتجنب الوقوع في شبهات البيع والشراء. فعَنْ الشعبي عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ. أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللَّه مَحَارِمُهُ. أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ. (مسلم ح١٥٩٩).

١٢) الإكثار من ذكر الله تعالى في جميع الأحوال:

ينبغي على التاجر المسلم أن يكون لسانه رطباً بذكر الله تعالى في كل وقت فيحرص على أذكار ختام الصلاة، والصباح والمساء، وأذكار السفر وغيرها من الأذكار الثابتة من سنة نبينا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وليعلم كل تاجر مسلم أن هذه الأذكار المشروعة هي سبيل مرضاة الله تعالى واطمئنان قلب العبد المسلم.

وقال سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد:٢٨)، وقال جل شأنه: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) (الأعراف:٢٠٥).

(١٣) الالتزام بالصدق
والأمانة في جميع المعاملات:

إن الصدق مع الله ومع الناس وأداء الأمانة لأهلها هما شعار التاجر المسلم. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩)، وقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء: ٥٨).

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا. (البخاري ح٢٠٧٩).

(١٤) اجتناب الحلف الله
تعالى عند البيع والشراء:

ينبغي على التاجر المسلم أن يتجنب الحلف، ولو كان صادقاً؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهانا عن الحلف في البيع والشراء. فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلرِّبْحِ. (مسلم ح١٦٠٦).

وليحذر كل تاجر أن يشترى بأيمان الله مالاً حراماً؛ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران: ٧٧).

(١٥) الإنفاق في سبيل الله تعالى:

اعلم أخي التاجر الكريم أن الإنفاق في سبيل الله تعالى هو التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة، فاحرص على الإنفاق من مالك قدر استطاعتك، في وجوه الخير وهي كثيرة مثل، بناء المساجد وعمارتها، ونشر كتب العلم النافع، ومساعدة الفقراء، وكفالة الأيتام المحتاجين، وتفطير الصائمين في رمضان، وعير ذلك من أبواب الخير. واعلم أخي الكريم أن الصدقات تزيد الحسنات والمال.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر: ٢٩، ٣٠)، وقال جل شأنه: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١).

(١٦) السماحة والرفق في البيع والشراء:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى. (البخاري ح٢٠٧٦).

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. (مسلم ح٢٥٩٤).

(١٧) الصبر على المعسرين والتجاوز عنهم:

من الأخلاق الحميدة للتاجر المسلم أن يصبر على المعسرين. قال تعالى (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) (البقرة: ٢٨٠)، وليتذكر كل تاجر أن الصبر على المعسرين له فضل عظيم عند الله يوم القيامة. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ. (البخاري ح٢٠٧٨، ومسلم ح١٥٦٢).

(١٨) كتابة الوصية الشرعية:

إن الإنسان لا يدري متى وأين وكيف ينتهي أجله، ولذا ينبغي على التاجر أن يكتب وصيته، فيكتب ما له وما عليه حتى إذا ما جاءه الموت بغتة، لا تضيع حقوق الناس عنده ولا حقوق ورثته عند الناس. قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (لقمان: ٣٤)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

مَنْ استطالَ الطريقَ ضعُفَ مشيُه

إعداد أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن بالأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

أيُّها المسلم الكريم إنَّ الله عز وجل لطيفُ بعباده، برٌّ رحيم بهم، ومن دلائل ذلك أنه ما تركهم دون أن يبين لهم كيف يسيرون، وما الذي لهم حين يَصلون.

قال تعالى: « يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (النساء:٢٦)، وقال تعالى: « يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (النساء:١٧٦)، وقال تعالى: « إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى » (الليل:١٢) أي: "إن علينا الإرشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع". (مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/٦٥١)).

هذا، ومن إحسان الله إلينا، وإرشاده لنا أن عرَّفنا بحقيقة هذه الحياة الدنيا، فبين لنا أنها فانية غير باقية، وأنها متاع الغرور، لا مقامُ السرور والحبور، وأنها سريعة الزوال، وشيكة الارتحال والانتقال؛ فلا ينبغي الاغترار بمتاعها، ولا الركون إلى زخارفها، وإنما علينا أن نتزود منها لدار القرار، ونجعلها مزرعة لدار السلام التي هي دار البقاء والدوام.

قال تعالى: « وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » (آل عمران:١٨٥)، وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ » (فاطر:٥)، وقال تعالى ذاكرا قول مؤمن آل فرعون: « يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ » (غافر:٣٩).

وقد ضرب الله المثل لهذه الحياة الدنيا تنبيها وتذكيرا، ووعظا وتبصيرا فقال عزَّ من قائل: « وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا » (الكهف:٤٥).

قال القرطبي في تفسيره (١٠/٤١٢): "وقالت الحكماء: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقي على واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل وكذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدرٍ كان نافعا منبتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًا مهلكًا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر".

والأدلة في هذا الباب كثيرة، والشواهد مستفيضة، والمقصود أن العاقل اللبيب من عرف ذلك، وعمل بمقتضاه فاستعدَّ لآخرته، وآثر طاعة الله مولاه على هواه، ودنياه.

والواقع أن كثيرًا من الناس مع علمهم بحقيقة

الدنيا، ورغبتهم في الآخرة يتراجعون عن الاستعداد، والتزود ليوم المعاد، فينقطعون بعد وصال، ويتكاسلون بعد أن كانت لهم آمال بل وأعمال.

ومن هذه الأسباب الرئيسة التي توقعهم في الكسل، والانقطاع عن العمل، وتزين لهم الوقوع في سبل الغواية وترك أبواب الطاعة استطالة الطريق إلى الله والدار الآخرة، وقد صدق ابن القيم حين قال: "مَن استطال الطريق ضعُف مَشْيُه" (الفوائد ص٧٨).

وهذه مقولة جليلة تحتاج إلى تأمل وتبصر، ومدارسة وتعقل.

وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولًا: المراد باستطالة الطريق: عَدُّه طويلًا، وحُسْبانه كذلك بناء على أن الاستفعال يجيء للحسبان والعدّ؛ فيكون معنى (استطال الطريق) أي: عدّه وحسبه طويلًا. (ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي- مادة: طول (٢٩/٣٩٠)).

ثانيًا: المقصود بالطريق هنا:

العبارة من حيث هي صالحة لأي طريق فإن الإنسان إذا وضع نصب عينيه أن الطريق الذي يسلكه طويل وشاق، وأنه مهما سار فيه فبينه وبين الوصول إلى هدفه مفاوز ضعُف مشيه، وانحل عزمه، وربما توقف سيره.

ولكن المقصود في هذا المقام بالطريق: طريق الوصول إلى الله وذلك بسلوك صراطه المستقيم، والثبات على منهاجه القويم إلى يوم القدوم عليه، والوقوف بين يديه.

ثالثًا: أسباب استطالة الطريق:

يستطيل الإنسان طريق الوصول إلى الله فيضعف عن الاستعداد له لجملة من الأسباب لعل من أبرزها:

١- الغفلة: وتتمثل هذه الغفلة في صور منها:

أ- الغفلة عن حقيقة الحياة الدنيا الفانية، والآخرة الباقية الدائمة.

وقد ذكرت لك آنفا بعض الأدلة من الكتاب العزيز على أن الدنيا مرحلة انتقال وفناء، وليست دار قرار وبقاء، ولك أن تستحضر أيها الكريم أنّ رب العزة سبحانه حين أهبط آدم وحواء أعلمهما بهذه الحقيقة حين قال لهما: «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» (البقرة:٣٦، وسورة الأعراف:٢٤) فتأمل قوله: «إِلَى حِينٍ» لتعلم أن الغفلة تأتي ممن جهل هذا أو نَسيه فظن الأرض مستقرًا دائمًا، أو متاعًا مستمرًا!

وينتج عن هذه الغفلة الركون إلى الدنيا وزينتها، والانصراف عن الآخرة ونعيمها، ومن ثَمَّ فلا يبالي بالاستعداد ليوم المعاد، وإن أمضى شوطا في السير على هذا الطريق قطعه مع كسل واضح، وخلل ظاهر.

وقد نعى الله سبحانه على قوم مبلغ علمهم ومنتهى أملهم الدنيا فقط مع الغفلة عن الآخرة.

قال تعالى: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» (الروم:٦-٧).

والعاقل اللبيب لا يجعل الدنيا قاطعة له عن الآخرة والاستعداد لها، وإنما يجعل الدنيا وسيلة إليها، وعونًا على الوصول إليها بفعل الخيرات، وعمل الباقيات الصالحات فيكون ممن أوتي في الدنيا حسنة، وسيُؤتى في الآخرة حسنة هي أكبر وأبقى وأعظم وأرقى.

قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» (النساء:١٣٤)، فقوله «فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»: "ظاهر في حضور الخير في الدنيا والآخرة، أي: بيده هذا وهذا، فلا يقتصرن قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط، بل لتكن همَّته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة، فإنَّ مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضر والنفع، وهو الله الذي لا إله إلا هو، الذي قد قسم السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة بين الناس، وعدل بينهم فيما علمه فيهم، ممن يستحق هذا، وممن يستحق هذا؛ ولهذا قال: «وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا». "(تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٣٢)".

وقد نبهنا الله عز وجل إلى البون الشاسع، والفرق الكبير بين متاع الدنيا، ونعيم الآخرة فقال عز وجل: «وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» (القصص:٦٠-٦١)، ومع ذلك فإن كثيرا من الناس في غفلة عن ذلك وصدق الله إذ قال: «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» (الأعلى:١٦-١٧) "قال مالك بن دينار: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزفا يبقى، لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى، على ذهب يفنى. قال: فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى"(تفسير القرطبي(٢٠/٢٤)).

أخرج مسلم في صحيحه (٢٨٠٧) عن أنس رضي الله عنه "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".

إنّنا لا نقصد بذلك أن يعتزل الإنسان الدنيا، ويترك العمل فيها، أو التمتع بزينتها كيف ونحن نقرأ قوله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (الأعراف:٣٢)، ونقرأ ما قصه الله علينا في قصة قارون حين قال له المؤمنون من بني إسرائيل نصحا وإرشادا: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» (القصص:٧٧).

وإنّما مقصودنا أن يعرف الإنسان قدرها وهوانها وحقيقة أمرها؛ فيتقي ما يضره في الآخرة منها، ويحذر مما تذهب لذته وتبقى تبعته، فيطرد عن نفسه الغفلة والغمرة لعلمه أن الموت يأتي بغتة، والعاقل يقول: لأن أعتبر اليوم وأتعظ خير لي من أن أكون بعدُ عظة وعبرة.

أيها القارئ الكريم تأمّل قول الله عز وجلّ: «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» (النور:٣٧)تجدُ أن رب العزة سبحانه قد أثنى على هؤلاء الرجال لا لأنهم تركوا التجارة والبيع، وإنما لأنهم رجال لا تلهيهم تجارة أو بيع عن الطاعات، وفعل الخيرات وهذا هو المقصود، ونعم المال الصالح للمرء الصالح، وكم للتاجر الصدوق الأمين من درجات عالية ومقام سنيّ عند الرب العليّ والموفق الحصيف من تبصّر في دينه فوضع كل شيء في موضعه.

ب- الغفلة عن أننا منذ خرجنا إلى الدنيا ونحن مرتحلون عنها، مسافرون منها إلى دار أخرى.

هذه حقيقة ينبغي أن تكون نصب عين الإنسان، لا يغفل عنها قلبه، ولا ينصرف عنه لبه.

وقد وجهنا الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ففي صحيح البخاري (حديث٦٤١٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

وقد ذكّرنا الله سبحانه بالسفر الحقيقي والانتقال الحتمي بعد امتنانه علينا بما نركبه في أسفارنا وعتد تنقلنا وارتحالنا من الفلك والأنعام فقال عز وجلّ: «وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» (الزخرف:١٢-١٤).

قال الحافظ ابن كثير:" وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبّه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (البقرة: ١٩٧)، وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: «وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ

من آيات الله لعلهم يذكرون » (الأعراف:٢٦).

ينبغي للعبد ألا يغفل عن هذه الحقيقة فهو في الدنيا مسافر حتمًا شاء أم أبى، رضي أو سخط، ومن ثمّ فلا وجه لاستطالة الطريق؛ لأنه لا مناص عنه، ولا سبيل للتخلف عنه.

قال ابن القيم في "كتابه الفوائد ص١٩٠": "النّاس مُنْذُ خلقُوا لم يزالوا مسافرين وَلَيْسَ لَهُم حطّ عَن رحالهم إلاّ فِي الْجنَّة أو النّار".

نسير إلى الآجال في كل لحظة
وأعمارنا تطوى وهُنّ مراحلُ
ترَحّلْ من الدنيا بزاد من التقى
فعمرُك أيام وهنّ قلائل

قال أبو منصور الثعالبي: "إن أيام العمر وساعات الدهر كمراحل معدودة، إلى وجهة مقصودة. فلا بد مع سلوكها من انقضائها، وبلوغ الغاية عن انتهائها..." (سحر البلاغة وسر البراعة ص١١٥).

قال ابن رجب في لطائف المعارف (ص٣٠٤): "يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه إنما تفرح بنقص عمرك قال أبو الدرداء والحسن رضي الله عنهما: إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا
فإنما الربح والخسران في العمل

قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياه سارتا به وان لم يسر".

٢- ضعف الهمة وخور العزيمة:

قد يكون الإنسان مستحضرا لهذه الحقائق الجليلة من كونه مسافرًا منتقلًا من هذه الدار التي متاعها قليل إلى الآخرة التي هي دار القرار بيد أنه يستطيل الطريق ويتكاسل عن الطاعات بسبب ضعف همته، ووهن إرادته، وخور عزيمته فتراه مُسوّفًا متقاعسًا متثاقلًا راضيًا بالدون تاركًا لمعالي الأمور وقد ذمّ الله المنافقين فقال: «إنّ المنافقين يُخادعون الله وهو خادعُهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى يُراءون النّاس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً » (النساء:١٤٢)، وقال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل » (التوبة:٣٨).

وقال عز وجل: «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » (التوبة:٨٧).

والسائرون إلى الله رب العالمين يفتقرون إلى همم تسيّرهم وترقيهم، وعلم يسددهم ويهديهم، والموفق من رزق العلم النافع والعمل الصالح.

قال تعالى: «واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار » (ص:٤٥).

وذلك أن" النفس الناطقة لها قوتان: عاملة وعالمة، فأولي الأيدي والأبصار إشارة إلى هاتين الحالتين". (البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(٩/١٦٤)).

فأثنى عليهم سبحانه بالقوة في العلم والعمل؛ إذ العلم يُعرف به الحق وتطرد به الغفلة، والعمل ثمرة الإرادة والهمة، ولله على العباد الفضل والمنة.

وقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدعو إلى الاستباق في فعل الخيرات، والمسارعة إلى عمل الصالحات تقوية للعزائم، وشحذا للهمم قال تعالى: «فاستبقوا الخيرات » (البقرة:١٤٨، المائدة:٤٨)، وقال تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين » (آل عمران: ١٣٣)، والشواهد في هذا كثيرة.

وصفوة القول أن كثيرًا من الناس يستطيلون طريق الحق الموصل إلى جنات النعيم فيتكاسلون عن الطاعات ويقعون في المعاصي والزلات بسبب الغفلة، وضعف الإرادة.

وللحديث بقية وللموضوع تتمة عن علاج استطالة الطريق، ومواجهة أسبابها، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الراشدين، ونعوذ به من حال المفتونين والحمد لله رب العالمين.

والله ولي التوفيق.

الغشُّ في الامتحانات: خيانةٌ للأمة ودمارٌ للمجتمع

إعداد **الشيخ صلاح عبد الخالق**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعدُ:

فالغش في الامتحان أمره خطير وشره مستطير، أصاب الكبير والصغير، والغني والفقير، وجعل العزيز ذليلاً، والذليل في تأخير، والطفل كسولاً والشاب عويلاً، والعجوز في تحسير والأمـة كلها في تدمير وتأخير وتخسير.

مما يُبكي العين وُيدمي القلب أن الغش في الامتحان عند بعض الناس حقٌّ مُكتسب وواجبٌ لا بد من أدائه، وإذا قام أحد الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقفوا له بالمرصاد ولسان حالهم يقول: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» (النمل: ٥٦).

قال أهل العلم: يوم الامتحانِ يكرم المرء أو يُهان. وقال أهل الغش: يوم الامتحان يَغُش المرء أو يُعان؛ أي يُعان على الغش.

أولاً: من أخطار وأضرار الغش في الامتحانات

للغش أضرار خطيرة ومصائب عظيمة على الأُمة كلها نذكر بعضًا منها مثلاً:

(١) الغش من كبائر الذنوب:

الغش حرام بل من كبائر الذنوب لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من غشنا فليس منا)، وهذه الجملة عامة تشمل كل ما صدق عليه غش في أي نوعٍ من أنواع المعاملة أو العمل، والغش في الامتحان داخلٌ في هذا العموم، فلا يجوز للطالب أن يقوم بالغش في الامتحان لا مع نفسه ولا مع غيره؛ فلا يجوز له أن يطلب من يساعده على الحل ولا أن يُعين غيره في الحل؛ لأن تبرؤ النبي عليه الصلاة والسلام من الغاشّ يدل على أن الغش من كبائر الذنوب وليس من سمات المسلمين. (فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين: ١٩).

(٢) الدال على الشر كفاعله:

الذي يُشجع على الغش بأي وسيلة بالقول أو بالفعل أو بالإشارة أو بالرضى شريك في الإثم:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» صحيح مسلم (٢٦٧٤).

ب- ومن المقرر أن الغش في أي شيء حرام، والحديث واضح في ذلك "من غشنا فليس منا" رواه مسلم ح(١٦٣)، وهو حكم عام لكل شيء فيه ما يخالف الحقيقة، فالذي يغش ارتكب معصية والذي يساعده على الغش شريك له في الإثم. (فتاوى الأزهر ١٣٩/١٠).

ج- الغش محرم في الاختبارات، كما أنه مُحرم في المعاملات، فليس لأحد أن يغش في الاختبارات في أي مادة، وإذا رضي الأستاذ بذلك فهو شريكه في الإثم والخيانة. (فتاوى ابن باز ٣٩٧/٦).

(٣) الغش خيانة للأمانة:

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (الأنفال: ٢٧).

الغش في الامتحانات خيانة للجهات المسؤولة التي هو تحت رعايتها؛ لأن الجهات المسؤولة لا ترضى بهذا إطلاقاً، ولهذا تضع المراقبين والملاحظين على الطلاب في وقت الامتحان، وأما كونه خيانة للأمة كلها فلأن الأمة إذا كان مستوى متعلميها قائمًا على الغش والجهل كان في ذلك دمار للأمة وبقيت الأمة محتاجة إلى غيرها دائماً وأبداً؛ لأن هؤلاء المتخرجين عن طريق الغش لا يعلمون بل هم جهال في الواقع فتبقى الأمة شكلها شكل المتعلمة وحقيقتها أنها جاهلة فيكون في ذلك خيانة للأمة كلها ودمارٌ للمجتمع؛ فنصيحتي لإخواني الطلبة أن يتقوا الله عز وجل في هذا الأمر. (فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين: ص٢١).

(٤) الغش في الامتحانات ظلم كبير:

لا يجوز للطالب أن يُساعد زميله في الامتحان أبداً، وهو في الحقيقة ظلمٌ للطالب المُعان وظلمٌ للطالب المعين وجناية على الجهة المسؤولة التي هو تحت رعايتها وجناية على الأمة جمعاء، أما كونه ظلماً للطالب المُعان فلأننا أعناه على أمر محرم عليه وهو الغش، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من غش فليس منا)، وأما كونه ظلماً للمُعين فلأنه ظلم نفسه بالمعصية: حيث أعان على معصية، والمعين على معصية كالفاعل لها، ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، وقال هم سواء"؛ فدل ذلك على أن المعين على المعصية كفاعلها. (فتاوى نور على الدرب: ص٢١).

(٥) الغشاش آكلٌ للحرام:

انتشار الغش في الامتحانات وغيرها رذيلة من أخطر الرذائل على المجتمع؛ حيث يسود فيه الباطل وينحسر الحق، ولا يعيش مجتمع بانقلاب الموازين الذي تسند فيه الأمور إلى غير أهلها، وهو ضياع للأمانة، وأحد علامات الساعة كما صح في الحديث الشريف. والذي تولى عملاً يحتاج إلى مؤهل يشهد بكفاءته، وقد نال الشهادة بالغش يحرم عليه ما كسبه من وراء ذلك، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به وقد يصدق عليه قول الله تعالى: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (آل عمران: ١٨٨).

وإذا كان قد أدى عملاً فله أجر عمله كجهد بذله أي عامل، وليس مرتبطا بقيمة المؤهل، وهو ما يعرف بأجر المثل في الإجارة الفاسدة، وما وراء ذلك فهو حرام. (فتاوى دار الإفتاء المصرية ١٣٩/١٠).

(٦) تخريج أجيال مُدمرة للمجتمع:

الغش في الامتحان يُخرج لنا أجيالاً رضعت وتربت وترعرعت على الغش؛ فأصبح هذا نهج حياتها في كل الأمور وبذلك تدمر الأمة كلها.

ثانيًا: من أسباب الغش في الامتحان:

الأسباب التي ساعدت على انتشار هذه الظاهرة كثيرة جدًا؛ منها:

(١) ضعف الإيمان بالله وقلة الحياء: لا يُقدم على جريمة الغش إلا ضعيف الإيمان بالله قليل الحياء؛ فإن القلوب إذا مُلئت بالإيمان بالله لا يُمكن أن تقدم على الغش وهي تعلم أن الغش يُغضب الله.

عن عبد الله بن مَسْعُود، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ". (صحيح البخاري: ٦١٢٠).

قال الخطابي: الحكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يمنع الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء، فإذا تركه صار كالمأمور طبعًا بارتكاب كل شر. (فتح الباري: ١٠/٥٢٣).

(٢) ضعف التربية: ضعف التربية منذ الصغر في المنزل والمدرسة بحيث لا ينصحه الوالدين بعدم الغش ولا ينهاه المدرسون، بل ربما شجعه بعضهم على الغش، وهذا خطأ؛ فعن مَعْقِل بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيّ قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ". صحيح مسلم (١٤٢).

(٣) الكسل وضعف الشخصية: تشاهد الطالب الكسول يرى زملاءه من بداية العام الدراسي وهم يجدون في المذاكرة والكسول لا هم له إلا اللعب وتضييع الأوقات بغير فائدة، فإذا جاءت الامتحانات تراه يطلب المساعدة بالغش لكي ينجح. إن الغش هو حيلة الكسالى وطريق الفاشلين، وجاء في الحكم: (من دام كسله خاب أمله وتحقق فشله). الغش دليل على ضعف الشخصية؛ حيث إن الذي يغش لا يجد الثقة في نفسه على تجاوز الامتحانات، وبالتالي يلجأ إلى الغش.

(٤) المجاملات الكاذبة: هذا الطالب يُجامل زميله فيغششه، وهذا مُعلم أو مُشرف أو مُراقب على لجنة الامتحانات يُجامل مُعلمي المدرسة أو أولياء الأمور فيُغشش المتحنين أو يُسهل عملية الغش.

أنصح إخواني الملاحظين الذين يراقبون الطلبة أن يتقوا الله عز وجل، وأن لا تأخذهم في الله لومة لائم، وأن لا يُحابوا غنياً لغناه ولا فقيراً لفقره ولا ضعيفاً لضعفه ولا قوياً لقوته؛ فعليهم أن يلاحظوا أتم ملاحظة، وأن يكرسوا جهودهم سمعاً وبصراً وفكراً وأن لا يتشاغل بعضهم بالحديث إلى بعض في حال المراقبة والملاحظة؛ لأنهم مسؤولون عن ذلك أمام الله عز وجل ثم أمام الدولة ثم أمام الأمة فلا يفرطوا في هذه الأمانة التي حَملوها. (فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين ص٢١).

وعنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». صحيح ابن حبان (٢٧٦) وصححه الألباني.

(٦) سوء الصحبة:

الطالب الغشاش يُصاحب المهملين والكسالى وسيئي الخلق، وهذه رسالة تحذير إلى أولياء الأمور عليكم بحُسن اختيار أصدقاء أبنائكم وتوصيتهم بذلك؛ حرصًا على مستقبلهم. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». سنن الترمذي (٢٣٧٨) (وحسنه الألباني).

لماذا نُحسن اختيار الأصحاب؟ لأن: الصاحب ساحب، وعن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي.

(٧) ترك معاقبة الغاش: يساعد على انتشار الظاهرة وتفاقمها؛ لأن من أمن العقوبة أساء الأدب.

ثالثًا: علاج الغش في الامتحانات:

على الأمة الإسلامية كلها أن تتحد لمقاومة معاول هدمها وتدميرها وقف نزيف الجهل والتخلف وخيانة الأمانة وتعود إلى سابق عهدها في التقدم والرقي والحضارة، وذلك بأساليب كثيرة؛ منها على سبيل المثال:

(١) تقوى الله تعالى:

نصيحتي للطلبة في أيام الامتحانات، وفي غير أيام الامتحانات: أن يتقوا الله عز وجل، وأن

يخلصوا له النية في طلب العلم، وأن يؤدوا الأمانة في الامتحانات بحيث لا يحاول أحد منهم الغش لا لنفسه ولا لغيره؛ لأنه مؤتمن ولأن من نجح بالغش فليس بناجح في الحقيقة، ثم إنه يترتب على غشه أنه سينال بشهادته مرتبة لا تحل إلا بالشهادة الحقيقية المبنية على الصدق، والإنسان إذا لم ينجح إلا بالغش فإنه لم ينجح في الحقيقة، ثم إنه سوف يكون فاشلاً ليتولى منصبًا ينبغي أن يتولاه من حصل على الشهادة التي غش فيها؛ إذ إنه ليس عنده علم فبقي فاشلاً في أداء مهمته. (مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢٦/٤٥٩).

(٢) الجد والاجتهاد في المذاكرة طوال العام:

ننصح الطلاب جميعا بالجد والعناية والمذاكرة في الدروس ليلاً ونهارًا، والتعاون فيما بينهم في حل المشكلات، وسؤال الله التوفيق والعون، والحذر من المعاصي، والحرص على الصلاة والمحافظة عليها في الجماعة، صلاة الفجر وغيرها، وعلى بر الوالدين وصلة الرحم، وأداء حق الزوجة إلى غير ذلك. (مجموع فتاوى ابن باز ٥٨/٢٤).

(٣) استشعار المسئولية الكبيرة: كلٌّ منا مسئول في مكانه والكل سيحاسب أمام الله تعالى عن هذه المسئولية، وتلك الأمانة الثقيلة يوم القيامة. فلا تقصر في حق رعيتك؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا. (صحيح البخاري ٢٧٥١).

(٤) تغيير المفاهيم الخاطئة: انتشرت في أوساط الغشاشين كلمات شيطانية خبيثة مغلوطة تتعارض مع شريعة الله تعالى مثل: إن هذه المواد غير دينية فيجوز الغش أو هذا تعاون، وتفريج كرب الناس أو الضرورات تبيح المحظورات، «نوم = دبلوم»، وكل وارتاح يأتيك النجاح، الكل بيغش، ولذلك يُسول لهم الشيطان كبيرة الغش؛ ولا شك أن هذه مفاهيم الفشلة، وهي تعارض صحيح الدين الذي يدعو إلى العمل.

(٥) توفير الأمن الحقيقي للجان الامتحانات:

على قوات الأمن الخاصة بتأمين لجان الامتحانات العمل بكل حزم لتوفير الأمن داخل وخارج اللجان حتى يأخذ كل واحد حقه، وهذه شكوى لبعض المدرسين:

أنا مُدرِّس في الثانوية الفنية، وأضطر للسماح للتلاميذ بالغش في الامتحانات العامة، على الرغم أنه لا مصلحة لي في ذلك؛ لأن أهالي التلاميذ يسببون مشاكل كبيرة لمن لا يفعل ذلك، وقد يعتدون بالضرب على المُدرِّسين الذين يرفضون الغش، مع العلم أننا في محافظة أخرى غير محافظتنا، ولا نعرف أحدًا نحتمي به؛ فنضطر إلى السماح لهم بالغش؛ فهل نأثم لذلك؟ وفي آخر الامتحانات يُقدِّمُ لنا أهالي الأولاد هدايا كثيرة؛ فهل نَقْبَلُها؟ (فتاوى موقع الألوكة رقم الفتوى: ٢٠٤٢)

(٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذا كان الغش حراماً فلا يجوز أن تعين غيرك عليه؛ لقول الله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) رواه مسلم ح(٧٨).

أمَا إذا رأيت طالباً يغشّ في الاختبارات، ولم تشارك أنت في هذا الغش، فالواجب عليك منعه من ذلك المنكر إذا رأيته أو إبلاغ المراقب عنه، وكل ذلك مُقيّد باستطاعتك، خاصة في وقت الامتحان الذي يَغلب انشغال الإنسان فيه بنفسه واجتنابه إحداث مشكلة مع غيره. فإن خشيت من ذلك ضرراً لا يحتمله مثلك، أو انتشار الضرر وآثاره إلى أهلك فلا حرج عليك إن شاء الله، في الإعراض عنه، والانشغال بأمرك وترك ذلك إلى مسؤول المراقبة. موقع الإسلام سؤال وجواب: ١٦٤٥/٧).

والله ولي التوفيق.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

احذروا القول على الله بلا علم

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣).

حكم مواعظ

عن ابن المبارك، قال: "من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بإخوانه ذهبت مروءته" (سير أعلام النبلاء للذهبي).

من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء استفتاح الصلاة: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني من الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد" (صحيح البخاري).

قواعد ذهبية في توحيد رب البرية

والصواب أن الأشياء مفتقرة إلى الخالق لذواتها لا لأمر آخر جعلها مفتقرة إليه، بل فقرها لازم لها؛ لا يمكن أن تكون غير مفتقرة إليه، كما أن غنى الرب وصف لازم له لا يمكن أن يكون غير غني، فهو غني بنفسه لا بوصف جعله غنيًا".

(شيخ الإسلام ابن تيمية- مجموع الفتاوى).

من أقوال السلف

عن يوسف بن أسباط قال: سمعت الثوري يقول: "ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول: لا إله إلا الله".

(سير أعلام النبلاء للذهبي).

إعداد : علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«من زهد في الدنيا؛ علّمه الله تعالى بلا تعلم، وهداه الله بلا هداية، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمى». موضوع. أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٧٢/١). (السلسلة الضعيفة للألباني).

من معاني الأحاديث

«نهى أن يقال للمتزوج: بالرفاء والبنين». الرفاء: الالتئام والاتفاق والبركة والنماء، وهو من قولهم رفأت الثوب رفأ ورفوته رفوًا. وإنما نهى عنه كراهية؛ لأنه كان من عادتهم، "أي في الجاهلية" ولهذا سُنّ فيه غيره وهي "بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير". (النهاية لابن الأثير).

من فضائل الصحابة

فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال علي رضي الله عنه: "والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق». (صحيح مسلم).

من دلائل النبوة

تسليم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن سمرة -رضي الله عنهما-؛ قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلّم: «إنّي لأعرف حجرًا بمكّة كان يسلّم عليَّ قبل أن أبعَث. إنّي لأعرفه الآن" (صحيح مسلم).

السلف أحرص الناس على دماء الأمة

عن عاصم أن مروان قال لابن عمر -يعني بعد موت يزيد-: هلم يدك نبايعك، فإنك سيد العرب، وابن سيدها. قال: كيف أصنع بأهل المشرق؟ قال: نضربهم حتى يبايعوا. قال: والله ما أحب أنها دانت لي سبعين سنة، وأنه قتل في سيفي رجل واحد. (سير أعلام النبلاء للذهبي).

جريمة الاعتداء الإلكتروني على العرض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمن المقاصد الخمسة حفظ النسل، وقد يُعبَّر عن هذا المقصد بحفظ النسل أو العرض أو النسب. ومقصد الجميع واحد، والحقيقة أنّ هذه المصطلحات متلازمة ومترابطة، لا تنفك عن بعضها، فباختلال واحدة منها يختل الجميع بشكل نسبي، فبحفظ الفُرُوج تُحفظ الأنساب، والأعراض من أنْ تنتهك، والتي بحفظها يتم حفظ النسل، فكل هذه الألفاظ ذات صلة واحدة، وهدف واحد في محافظتها على الضروري وهو النسل. (مقاصد الشريعة الإسلامية في الشهادات، تأليف: بركات أحمد ص١٥٥، ١٥٦).

إعداد
د. عبد القادر فاروق
موجه بمجمع البحوث وعضو
لجنة الفتوى بالمعادي سابقًا

قال الآمدي رحمه الله: «المقاصد الخمسة، التي لم تَخْلُ من رعايتها ملة من الملل، ولا شريعة من الشرائع، وهي: حفظ الدِّين، والنَّفس، والعقل، والنَّسل، والمال. فإنَّ حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضروريات، والحصر في هذه الخمسة الأنواع، إنما كان نظرًا إلى الواقع، والعلم بانتفاء مقصد ضروري خارج عنها في العادة..» (الإحكام في أصول الأحكام، ٣/ ٢٧٤).

طُرق حفظ النسل:

حفظ النسل ضرورة من ضروريات الحياة، التي يجب حفظها، ويُعتبر موضوع النسل حفظًا، وتنظيمًا، من الموضوعات المهمة؛ لأنه يهم كل فرد وأسرة، ويُؤثر سلبًا أو إيجابًا على المجتمع. وحفظ النسل يكون من جانب الوجود، ومن جانب العدم.

أولًا: حفظ النسل من جانب الوجود، أو بجلب مصلحة:

١- الحض على الزواج والإشهاد عليه.

٢-رعاية الذُّرِّية، والإنفاق عليهم.

ثانيًا: حفظ النسل من جانب العدم، أو بتعطيل المفسدة:

١- تحريم الزنا ومُقدماته وإيجاب حد الزنا، قال الغزالي رحمه الله: «وإيجاب حد الزنا إذ به حفظ النسل والأنساب" (المستصفى ص ١٧٤).

٢- تحريم نكاح الزانية.

٣- النَّهي عن الطلاق لغير ضرورة.

٤-تحريم كشف العورة، والنظر المحرَّم.

٥- تحريم اختلاط الرجال بالنساء.

٦- تحريم الإهمال في تربية الأولاد. (مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، تأليف: د/ يوسف أحمد محمد، ص٤٧٣، ٤٧٨).

خطورة إشاعة الفاحشة إلكترونيًا عبر الشبكة العنكبوتية

(الإشَاعة) الْخَبَر ينتشر غير مُتَثَبت منْه، و(الشَّائع) الْمُنْتَشر، و(الشائعة) الْخَبَر يَنْتَشر وَلَا تَثَبُّت فِيه، والجمع: شوائع، و(الإشَاعة): أشاع الخَبر: أذاعه ونشره. راجت الإشاعة:

انتشرت، فشت، شاعت، إشاعة الخبر: إيصاله إلى سمع كل الناس. والفواحش: جمْعُ الفاحشة. والفحشاءُ: اسْمُ الفاحشة، وهو كل ما يَشْتَدُّ قُبْحُه من الذُّنوب والمعاصي، وكثيرًا ما ترد الفاحشة بمعْنَى الزِّنا، وكُلُّ خصْلة قبيحة فهي فاحشة، من الأقوال والأفعال. (المعجم الوسيط ١/ ٥٠٣، شمس العلوم ٦/ ٣٦٠٩).

الفاحشة اصطلاحا:

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

و"الفواحش": جمع فاحشة، وهي كل خصلة قبيحة في العقل والشرع معًا، وكل شيء جاوز حده فهو فاحشة. وقد جعل الاستعمال إطلاق الفاحشة على الزنا أكثر من غيره.

المقصود بإشاعة الفاحشة إلكترونيا عبر الشبكة العنكبوتية:

إشاعة الفاحشة: تضم جميع الوسائل القبيحة إلى هذه الفاحشة، سواء كانت بالقول، أم بالفعل، أم بالإقرار، أو ترويج أسبابها، وهكذا، ولإشاعة الفاحشة طرق كثيرة وأساليب متعددة منها:

(١) وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، حيث استغلت في بث ما يثير الغرائز ويشيع الفحشاء ويجر إلى الوقوع في جريمة الزنى.

(٢) وسائل الاتصال مثل الهواتف النقالة التي تستغل أحيانًا في ما يثير الغرائز وينشر الفحشاء، سواء كان عبر المكالمات الهاتفية أو الرسائل المرئية والمقروءة.

(٣) نشر صور وفيديوهات إباحية، وعناوين مواقع إباحية، ومطبوعات مخلة بالآداب العامة، على الشبكة العنكبوتية، ومواقع التواصل الاجتماعي؛ مما يكون سببًا في الترويج للفواحش، واستشراء الفساد وإفساد الفطرة وشيوع الرذيلة.

٢- تصميم مواقع جنسية:

يقوم شياطين الإنس بتصميم مواقع جنسية على الشبكة العنكبوتية؛ لإفساد الناس، والتربح أيضا؛ لأن هناك مواقع بمقابل مادي للدخول عليها، وهذه المواقع الخبيثة، مختصة بنشر الزنا، والعري، وكشف العورات، وفعل المحرمات، من زنا، وشذوذ من لواط وسحاق.

الحكم الفقهي:

تصميم المواقع الجنسية حرام؛ لما فيه من إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، ونشر الرذيلة في المجتمع، ويترتب على ذلك عقوبة تعزيرية لمن يفعل ذلك، وهذا مرجعه للقضاء.

ومن الخطأ ظن بعض المسلمين أنّ تحريم تصميم المواقع على الإنترنت، مُقتصر على المواقع الإباحية فحسب، والصواب أنّ تصميم أي موقع فيه مخالفة شرعية حرام، مع العلم بتفاوت المحرّمات من حيث الرتبة والإثم. ولا يجوز إنشاء هذه المواقع؛ لأنها مُحرّمة بالكتاب والسُّنَّة.

أولا: من الكتاب:

١- قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (سورة النور، الآية ١٩).

وجه الدلالة من الآية: إنّ الذين يُحبون أنْ تشيع الفاحشة، يعني: يظهر ويذيع الزنا، في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، والعذاب في الدنيا الحد، وفي الآخرة النار"، "وجعل الله -تعالى- الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيها على أنّ محبة ذلك تستحق العقوبة لأنّ محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين".

وهذه المواقع فيها إشاعة للفاحشة في الذين آمنوا، وانتشار كبائر الذنوب بين الناس؛ لأنها تشتمل على الزنا، وعلى صور العورات، والكلمات الخبيثة الداعية إلى الرذيلة، ونشر الإعلانات التي تخدش الحياء، والفواحش بجميع صورها. مما يؤدي إلى فساد البلاد والعباد.

٢- قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» (سورة الإسراء الآية ٣٢).

وجه الدلالة من الآية: «النهي عن قربان الزنا أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه.... خصوصا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داعٍ إليه، ووصف الله تعالى الزنى وقبحه بأنه «كان فاحشة» أي: إثما يُستفحش في الشرع، والعقل، والفطر؛ لتضمنه التجرؤ على

الحرمة في حق الله تعالى، وحق المرأة، وحق أهلها، أو زوجها، وإفساد الفراش، واختلاط الأنساب، وغير ذلك من المفاسد. وقوله: «وَسَاءَ سَبيلا» أي: بئس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم" تفسير السعدي.

٣-قال الله تعالى: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» (سورة النور الآية ٣٠).

وجه الدلالة من الآية: «وفي هذه الآية دليل على تحريم النظر إلى غير من يحل النظر إليه، ومعنى ويحفظوا فروجهم أنه يجب عليهم حفظها عما يحرم عليهم. وقيل: المراد ستر فروجهم عن أن يراها من لا تحل له رؤيتها، ولا مانع من إرادة المعنيين، فالكل يدخل تحت حفظ الفَرْج..." (فتح القدير للشوكاني).

٤- وقال الله تعالى: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» (سورة النور من الآية ٣١).

وقد بدأ الله سبحانه بالغض في الموضعين قبل حفظ الفَرْج، لأنَّ النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفَرْج، والوسيلة مقدمة على المتوسَّل إليه، ومعنى: يغضضن من أبصارهن كمعنى يغضوا من أبصارهم، فيُستدل به على تحريم نظر النساء إلى ما يحرم عليهن، وكذلك يجب عليهن حفظ فروجهن على الوجه الذي تقدم في حفظ الرجال لفروجهم." (فتح القدير للشوكاني).

٥- وقال الله تعالى: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ» (سورة النحل، الآية ٢٥).

٦- وقال الله تعالى: «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ» (سورة العنكبوت من الآية ١٣).

وجه الدلالة من الآيتين: «يصير عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم، وخطيئة إغوائهم لغيرهم واقتداء أولئك بهم، وقال مُجاهد: يحملون أثقالهم: ذنوبهم وذنوب من أطاعهم، ولا يُخفف عمن أطاعهم من العذاب شيئًا" (تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٦٥، ٢٦٦).

ثانيًا: الأدلة من السنّة:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ» (صحيح البخاري ٦٢٤٣).

وجه الدلالة من الحديث:

"قوله "كُتب على ابن آدم نصيب من الزنى، أي قُدر عليه نصيب من الزنى، فهو مُدرك ذلك النصيب، ومُرتكب له بلا شك؛ لأنَّ الأمور المقدَّرة لا بد من وقوعها، فمنهم من يكون زناه حقيقيًا بإدخال الفَرْج في الفَرْج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازيًا، إما بالنظر إلى ما يحرُم عليه النظر إليه وإما بمحادثة الأجنبية في ذلك المعنى، وإما بالسماع إلى حديثها بشهوة، وإما بلمسها بشهوة وإما بالمشي إلى الفاحشة، وإما بالتقبيل المحرَّم، وإما بالتمني بالقلب والتصميم على فعل الفاحشة. فكل هذه الأمور مُقدمات للزنا، ويُطلق عليها اسم الزنى مجازًا، وعلاقة المجاز فيها لزوم التقييد فإنه لا يصح أن يُقال في صاحب النظر المحرَّم إنه زان مُطلقًا بلا قيد." (طرح التثريب في شرح التقريب ٨/ ١٩).

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ" (صحيح البخاري: ٦٠٦٩).

وجه الدلالة من الحديث: «قوله إلا المجاهرين، هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها، وكشفوا ما ستر الله تعالى عليهم، فيتحدثون بها لغير ضرورة ولا حاجة، يُقال جهر بأمره وأجهر وجاهر...» (شرح النووي على مسلم ١٨/ ١١٩).

وهذه المواقع الإباحية فيها المجاهرة بالفواحش، وكبائر الذنوب؛ لذلك فهي مُحرَّمة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

شرف الانتساب للسلف

إعداد: **أحمد بن سليمان أيوب**
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،

فمن الحق الذي ينبغي الاعتراف به أن سلفنا الصالح لهم علينا منة وفضل كبير بعد الله، فقد كانوا سببًا عظيمًا في تعريفنا وربطنا بالأوائل من الصالحين، فمن الوفاء الاعتراف بفضلهم وذكر محاسنهم وتعريف الأمة بهم، لتبقى هذه الأمة متصلة بأصولها، معتزة بنضال رجالها ممن نصروا عقيدة السلف، وعليها عاشوا، وفي سبيل نشرها قاتلوا وماتوا، فالسلفية ليست مذهبًا حادثًا ولا طريقة مبتدعة وأحزابًا مخترعة، وإنما هي امتداد لمنهاج النبوة ومن تبعهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

فهم المجددون حقًّا، والقائمون على أمر الله جدًّا، والداعون إلى السنة أبدًا، والمحاربون للبدع دومًا، فلله درهم وعلينا شكرهم فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

وليعلم الجميع أنهم هم الأصل وأن الأسماء الحادثة من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة... ما لهم من وصل، فإنما ينتسبون إلى رجال ظهروا بعد تمام الدين واستقراره في كل مصر، فنشروا مذاهبهم وتبناها ودعا لها أهل القصر من أمراء وقضاة ودعاة زاغوا عن الحق وخالفوا أهل القصد، فهؤلاء على الأمة دخلاء، وللبدع أدلاء، وعلى أهل الحق أعداء.

فمن اللازم رد أهل الأهواء والانتصار للصحب والآل ونصرة السلفيين البراء والمتمسكين بالحق الأقوياء.

ولا يمر زمان إلا ويخرج علينا بين الفينة والأخرى أحمق، يجلس على أريكته خلف قناته وهو بملئ فيه يتشدق، مدعيًا تبرؤه من منهج السلف لما يرى من نقد لاتجاهات عصرية تسمت باسم السلفية، فاتخذها ذريعة للنيل من المنهج الأنور والطريق الأزهر.

وكأن السلفية منهج جديد، أو فكر سياسي بليد، أو حزب له مآرب يدخل فيه كل مريد، هيهات هيهات فالسلفية هي الامتداد الحق لمنهج النبوة وتواصل بين الأجيال المتمسكة بالكتاب والسنة.

قال السفاريني: المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية، ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق، لكن لما كان فشو البدع وظهورها بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم، وزاد البلاء، وأظهر المأمون القول بخلق القرآن، وظهر مذهب الاعتزال ظهورًا لا مزيد عليه ؛ بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق، وكان الذي قام في نحورهم، ورد مقالتهم، وابطال مذهبهم وتزييفه، وذم من ذهب إليه، أو عول عليه، أو انتمى إلى ذويه، أو ناضل عنه، أو مال إليه سيدنا وقدوتنا الإمام المبجل، والحبر البحر المفضل، أبو عبد الله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. نسب مذهب السلف إليه، وعول أهل

عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه، وإلا فهو المذهب المأثور، والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين، وأعيان الأمة المتقدمين. (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: ١/ ٢١).

والسلفية لا ترتبط بزمان خاص بل هي منهاج عام، وإن كان الإطلاق على مذهب السلف يعني في المقام الأول أهل القرون الأولى الفاضلة، ولكن هذا لا يعني أن كل من كانَ في هذه القرون يعد سلفيا إلا إذا كان متمسكًا بما عليه السلف الصالح.

وإذا نظرنا في أهل البدع سنرى كثيرًا منهم ظهر في القرون الأولى الفاضلة؛ فقد خرجت الخوارج في عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ حيث اعترضوا على التحكيم سنة ٣٧ هـ فكان بداية خروجهم.

وفيها ظهر التشيع والرفض على يد ابن سبأ اليهودي الذي ادعى الإسلام وزعم محبة آل البيت.

وفيها نبتت فتنة القدرية على يد معبد الجهني "ت ٨٠ هـ".

وفيها أيضًا ظهرت بدعة الإرجاء وكان من زعماء المرجئة الأوائل غيلان الدمشقي "ت ١٠٥ هـ".

وفيها نجم قرن التجهم، والاعتزال؛ فعاش في هذا الوقت: الجعد بن درهم "ت ١٢٤هـ" أستاذ الجهم بن صفوان "١٢٨ هـ" زعماء الجهمية الأوائل منكري الصفات كما عاش فيه واصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة الأول "ت ١٣١ هـ".

كذلك فإن السلفية باقية بعد انقضاء القرون الثلاثة الأول لأنها ليست مسمى حادث بل هي امتداد طبيعي لمنهاج السلف الأول. قال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠).

وبهذا لا يخرج تعريف أهل السُّنَّة والجماعة عن تعريف السلف، وقد عرفنا أنَّ السلف هم العاملون بالكتاب المتمسكون بالسنّة؛ إذن فالسلف هم أهل السنة الذين عناهم النبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأهل السنة هم السلف الصالح ومن سار على نهجهم.

وهذا هو المعنى الأخص لأهل السنة والجماعة؛ فيخرج من هذا المعنى كل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء، كالخوارج، والجهمية، والقدرية، والمعتزلة، والمرجئة، والرافضة.. وغيرهم من أهل البدع ممن سلكوا مسلكهم.

فالسنّة هنا تقابل البدعة، والجماعة تقابل الفرقة، وهو المقصود في الأحاديث التي وردت في لزوم الجماعة والنهي عن التفرق.

السلف هم الجماعة وإن كانوا قلة

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله كما ورد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء». رواه مسلم (٢٣٢).

أهل السنة في آخر الزمان ليسوا أكثرية، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفهم بأنهم طائفة، وأنهم الغرباء، وأنهم عصابة، وأنهم فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة، وهذا يسقط دعوى بعض الأشاعرة والماتريدية المعاصرين، بأنهم أهل السنة، لأنهم الأكثرون في بلاد المسلمين، فالأكثرية ليست دليلاً كافيًا على الصواب، إنما العبرة باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، والتمسك بكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع هدي الصحابة والتابعين وأئمة الهدى الأعلام في العصور الثلاثة الفاضلة، والذين اتبعوهم واقتفوا آثارهم، ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى يوم الدين مهما قلّوا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأكثرية من المسلمين اليوم هم من العامة الذين يغلب عليهم الجهل، وعدم الإلمام بتفصيلات العقائد، وهؤلاء جمهورهم على الفطرة، والأصل فيهم البراءة وسلامة الاعتقاد، ومن كان هذا وصفه فهو داخل في سواد المسلمين أهل السنة، ما لم تجتلهم شياطين البدع والخرافات، وشياطين الفرق والطرق والأهواء ودعاة الضلالة. (انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها: ٤٧).

قال الأوزاعي في قوله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»: أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى

ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد.

ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف مدح السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلة، فكان الحسن- رحمه الله- يقول لأصحابه: يا أهل السنة! ترفقوا- رحمكم الله- فإنكم من أقل الناس.

وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها.

وروي عنه أنه قال: أصبح من إذا عرف السنة فعرفها غريبًا وأغرب منه من يعرفها.

وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة فإنهم غرباء.

ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات. (كشف الكربة في وصف أهل الغربة ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب: ٣١٩).

قال ابن القيم: واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، قال عمرو بن ميمون الأَوْدِيُّ: صحبت معاذًا باليمن، فما فارقتُه حتى واريتُه في التُّراب بالشام، ثم صحبتُ من بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ثم سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: سيولى عليكم ولاة يؤخِّرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها؛ فهي الفريضة، وصلُّوا معهم فإنها لكم نافلة، قال: قلت: يا أصحاب محمد! ما أدري ما تحدِّثون، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صلِ الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصلِّ مع الجماعة وهي نافلة، قال: يا عمرو بنَ ميمون: قد كنتُ أظنُّكَ من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحقَّ وإنْ كنتَ وحدَك، وفي لفظ آخر: فضربَ على فخذي وقال: ويحك! إنَّ جمهورَ الناس فارقوا الجماعة، كان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى.

وقال نُعيم بن حمَّاد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ، ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه. فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم معيارًا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، والمعروف منكرًا لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: مَنْ شَذَّ شَذَّ الله به في النار، وما عرف المختلفون أنَّ الشَّاذَّ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحدًا منهم فهم الشاذون، وقد شَذَّ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيرًا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم تحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك؛ فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المَهْيَع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، وينتظرها خلفهم: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (الأحزاب: ٢٣). إعلام الموقعين (٣٨٨/٥).

واليوم أصبح معيار الحق في كثرة الأتباع، وكلما زاد رصيده على القناة زاده اندفاعًا، ولهواه انصياعًا، والمسكين لا يدري أنه في انخداع وليس على منهج ثابت؛ فالزبد مآله الزوال والسقوط في القاع، وسيبقى ذكر القائمين على دين الله بحق وإن تنكب عنه الناس وحاربه كل أهل الأرض والشياطين وكل خناس «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» (الرعد ١٧).

فاللهم ثبتنا على دينك وانصر عبادك الموحدين.

التضرع
عند نزول البلاء

إعداد **أ. عبد العزيز مصطفى الشامي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

تتعرض الأمة المسلمة في الأونة الأخيرة إلى شدائد ومحَن وابتلاءات متعددة، من انتشار الموبقات والمجاهرة بالمعاصي، واعتداء اليهود على المستضعفين في غزة، وغطرسة الكافرين، وشعور المسلمين بالضعف والهوان، وعدم استعلائهم بإيمانهم، وهذا يذكّرنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ـ: "إنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلَّا كانَ حَقًّا عليه أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خَيْرِ ما يَعْلَمُهُ لهمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لهمْ، وإنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَ عافِيَتُها في أوَّلِها، وَسَيُصِيبُ آخِرَها بَلاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَها، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فيُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فيَقولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فيَقولُ المُؤْمِنُ: هذِه هذِه، فمَن أَحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إلَيْهِ....."ـ.

وفي الحَديث: دَلالةٌ من دَلائل نُبوَّة النَّبيِّ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّمَ؛ حيثُ أخبَرَ ببَعض ما سيَقعُ من الفتَن والمِحَن، وما يصيب الأمة من ابتلاءات في آخر الزمان.

وإذا ابتُلي المسلمون من عدوّهم، وحلت بهم القوارع، وأصابتهم الفتَن والمحَن، فليس لهم إلا الأخذ بالأسباب المادية لدَفع الهوان، والتضرع بين يدي الله تعالى ليرفع عنهم ما نزل بهم من عدوهم.

وإن من الحقائق الثابتة عرفًا والمقرَّرة شرعًا: افتقار الخلائق إلى الله-تبارك وتعالى-! فالخلائق لا غنَى لهم عن رحمة الله بهم وتدبيره لهم وستره عليهم طرفة عين. وكذا فإن حاجة الخلق إلى معرفة ربهم -سبحانه وتعالى-، والإيمان به ومحبته، أشدُّ من حاجتهم لطعام وشراب ومال، فإنَّ كل ما يتعلق به الناس يفنَى ويزول، ولا يبقى للعبد على الحقيقة في دنياه وأخره إلا الله الواحد الأحد؛ الذي يُدبِّر أمره، ويُنْزل رزقه، ويكشف كُربه، ويعافيه، ويحوطه من كل ما يؤذيه.

وعلى الرغم من شدة حاجة العباد إلى ربهم سبحانه، وافتقارهم إلى فضله وإكرامه، وعدم استغنائهم عنه طرفة عين؛ إلا أن الملاحظ أن كثيرًا من البشر قد أعرضوا عن عبادة الله تبارك وتعالى، ونفروا عن طاعته وهم أحوج شيء إلى رضاه والقرب منه.

وإنّ من السنن الربانية التي استفاضت بها الأدلة الشرعية إيضاحًا وإقرارًا: أنّ الله تعالى لا يُعذّب الأمم لمجرد ارتكاب الذنب والوقوع في الإثم، بل من رحمة الله تعالى أنّ العذاب والإهلاك لا يُصيب الأمم والأفراد إلا بعد استيفاء مراحل متعددة؛ يتجلى فيها حِلم الله، وعدم مُعاجلته للأمم بالعقوبات، فإذا استقامت الأمم على النهج القويم وتاب الناس غفر الله لهم الزلات، وأمدهم بعطائه، وتولاهم بحفظه، كما حدث مع قوم يونس عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس: ٩٨).

وأما إذا ما خالفت الأمم ونقضت العهود وأصرّت على مخالفة المنهج الحق، والاستمرار على الغي، والتمادي في الباطل؛ فعندها يتنزل عليهم العقاب ويحل عليهم السخط، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٠).

وإذا حل الابتلاء ونزلت العقوبات فلا سبيل لرفعها إلا بالتضرع والالتجاء إلى الله رب العالمين، ونظرًا لأهمية التضرع والإلحاح ودوره في التقرب من الله تعالى، وكثرة ذكره في القرآن العظيم في مواضع رفع البلاء ودفع العقوبات فسنلقي عليه مزيدًا من الإيضاح.

سبيل النجاة:

من أفضل أحوال العبد في سيره إلى الله- تبارك وتعالى-: شعوره بالافتقار التامّ إلى ربه الجليل، ويقينه أنه لا يكشف الضرّ عنه إلا هو، ولا يأتيه بالخير سواه، وهذا يدفعه إلى الاستسلام التامّ لربه سبحانه، وهذا من كمال توحيده وتمام إيمانه، وسلامة قلبه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧).

وإن من أعظم أسباب جلب النفع ودفع البلاء ورفع العذاب: تضرُّع العبد لربه-جل وعلا-، واستشعاره التام الفقر إليه وحاجته إليه، والرغبة فيما عنده من الخير، واللجوء إليه وحده بالدعاء والاستغاثة، وتعظيم الرجاء والأمل في رفعه للضر الذي نزل به.

مفهوم التضرع:

التّضرّع هو: التّذلّل والمبالغة في السّؤال والرّغبة، وقال الرّاغب: التّضرّع: إظهار الضّراعة. قال صاحب البصائر: معناه يتذلّلون في دعائهم إيّاه والدّعاء تضرّع؛ لأنّ فيه تذلّل الرّاغبين، قال: وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ (الأعراف: ٥٥) أي مظهرين الضّراعة وهي شدّة الفقر إلى الله تعالى وحقيقته الخشوع. قال المناويّ: الضّراعة: الخضوع والتّذلّل. والتّضرّع: أن تدعو الله- عزّ وجلّ- بضراعة. (التوقيف على مهمات التعاريف (٢٢٢). نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم (٢٦٦٣/٧) بتصرف يسير).

الصدق في التضرع والدعاء:

لقد أخبر ربنا سبحانه في القرآن العظيم أن التضرع والدعاء الصادق يرفع العذاب ويرد البلاء، فقال عن الأمم السابقة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٤٢، ٤٣)؛ فالغاية من أخذ العباد

بالبأساء والضراء أن يضرعوا إلى الله، ويرجعوا إليه، قال ابن القيم- رحمه الله-: "فالله يبتلي عبده ليسمع تضرعه ودعاءه والشكوى إليه، ولا يحب التجلد عليه، وأحب ما إليه انكسار قلب عبده بين يديه، وتذلله له وإظهار ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره، فاحذر كل الحذر من إظهار التجلد عليه، وعليك بالتضرع والتمسكن وابداء العجز والفاقة والذل والضعف، فرحمته اقرب إلى هذا القلب من اليد للفم". (كتاب الروح ص٢٠٦).

عواقب الغفلة عن التضرع في أوقات الرخاء:

لقد عاب الله على قوم لا يتضرعون إلا عند حلول النكبات، فإذا نجاهم الله، وأجاب سؤلهم أعرضوا عن شرعه، وشكروا غيره، «قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ» (الأنعام: ٦٣، ٦٤).

قال الشنقيطي: "شارحًا قوله تعالي: «وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا»: بيّن جل وعلا في هذه الآيات الكريمة: أن الكفار إذا مسهم الضر في البحر. أي اشتدت عليهم الريح فغشيتهم أمواج البحر كأنها الجبال، وظنوا أنهم لا خلاص لهم من ذلك- ضل عنهم. أي غاب عن أذهانهم وخواطرهم في ذلك الوقت كل ما كانوا يعبدون من دون الله جل وعلا، فلا يدعون في ذلك الوقت إلا الله جل وعلا وحده. لعلمهم أنه لا ينقذ من ذلك الكرب وغيره من الكروب إلا هو وحده جل وعلا، فأخلصوا العبادة والدعاء له وحده في ذلك الحين الذي أحاط بهم فيه هول البحر، فإذا نجاهم الله وفرج عنهم، ووصلوا البر رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر. كما قال تعالى: «فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» (الإسراء: ٦٧). (أضواء البيان ٣/١٧١).

إن العباد قد يغفلون في أوقات الرخاء عن عبادة التضرع وصدق اللجوء إلى الله، واستشعار حاجتهم وفقرهم التام إلى ربهم، ولكن لا ينبغي لهم أن يغفلوا عنها في أوقات البلاء والمحنة، ولو أنهم غفلوا في الحالين لعرّضوا أنفسهم لعقوبة الله، فإن أسوأ أحوال العبد أن تغرّه النعمة ويزين له الشيطان الفرح والبطر بما أوتيه من نعم متتالية، فيغفل عن شكرها، وعندها تحل عليه العقوبات، قال تعالى: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٥) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الأنعام: ٤٥،٤٤).

وهذا من إمهال الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- للأمم السابقة: ففي أول الأمر أخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلما لم يتضرعوا وقست قلوبهم حلت ووقعت عليهم العقوبة، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، استدراجا من الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لهم.

شتان بين حال من تضرّع وحال من أبى:

ولقد أخبر الله تعالى عن أقوام ابتلاهم وتوعدهم بالعذاب فاستكان بعضهم وتضرع إلى الله فكشف الله عنهم عذاب الدنيا، وأخبر عن آخرين ابتلاهم وتوعّدهم لكنهم تكبّروا وتجبروا وما استكانوا ولا تضرعوا فأخذهم العذاب.

أما الأولون الذين تضرًعوا فمنهم قوم يونس عليه السلام الذين قال الله عنهم: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ» (يونس:٩٨)؛ وقد ذكر بعض المفسرين أن قوم يونس خرجوا إلى الطرقات واصطحبوا نساءهم وأطفالهم ودوابهم ودعوا وجأروا إلى الله، وقيل: إنهم ظلوا على هذه الحالة أربعين ليلة وهم يستغيثون ويتضرعون ويدعون ويبكون ويستغفرون فكشف الله-تبارك وتعالى- عنهم العذاب في هذه الحياة الدنيا، وهذا من فضل الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ومن سعة رحمته.

أما الآخرون الذين لم يظهروا الفقر

والضراعة؛ فقد قال عنهم: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» (المؤمنون: ٧٦، ٧٧).

سادة المتضرعين:

لما كان التضرع إلى الله تعالى بهذه المكانة؛ كان أحرص الناس عليه الأنبياء والرسل، وإن تضرع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والتجاؤهم إلى الله سمة بارزة في سيرتهم العطرة حين نزل بهم البلاء واشتد عليهم الكرب، فكان نداء نوح عليه السلام ربه أن ينجيه وأهله من الكرب العظيم، كما كان التجاء إبراهيم عليه السلام إلى الله وحده أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى زوجه وولده، وافتقار أيوب عليه السلام أن يكشف الله ما نزل به من ضر، واستغاثة يونس عليه السلام في ظلمة جوف الحوت وقاع البحر أن ينجيه من الغم، كما كانت شكوى يعقوب عليه السلام لله وحده: «قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (يوسف:٨٦).

ومن طالع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، يجد أنه كان دائم التضرع إلى الله تعالى، فكان من أكثر دعائه، "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين". (أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٤٠٥) والحاكم (٢٠٠٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين). حسنه وصححه الألباني.

لم يكن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وحده من يتضرع إلى الله تعالى في وقت الشدة والمحنة والنوازل، بل كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يتضرعون إلى الله تعالى أيضًا ويستغيثون به، ويسألونه النصر والتأييد، وكتاب الله تعالى يؤكد ذلك ويؤيده: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» (الأنفال:٩)، قال الطبري رحمه الله: "ومعنى قوله: «تستغيثون ربكم»: تستجيرون به من عدوكم، وتدعونه للنصر عليهم". (تفسير الطبري ١٣/ ٤٠٩).

فمع تضرع والتجاء الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى في كل أحواله، إلا أن شدة تضرعه وانكساره وإلحاحه على ربه باستجابة دعائه كانت في وقت الحروب والأزمات، ففي غزوة بدر الكبرى أكثر الرسول الكريم من التضرع إلى الله والإلحاح بالدعاء إليه سبحانه، ففي الحديث الصحيح عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قال: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: "يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» (الأنفال:٩)، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ". (أخرجه مسلم ١٧٦٣).

فما أجدرنا أن نتأسى بنبينا صلى الله عليه وسلم في التضرع ودوام اللجوء إلى الله سبحانه في كل وقت وحين، وإن الأمة المسلمة اليوم بعدما نزل بها من بلاء وتعاظمت عليها الخطوب لهي في أشد الاحتياج إلى استمطار رحمات الله، وفتح أبواب السماء، بالدعاء الصادق، والتضرع الخاشع لله رب العالمين، ولذا شُرع للأمة القنوت في الصلوات الخمس في النوازل للدعاء والرجاء والتضرع وإظهار الفاقة والضعف والحاجة إلى رب العالمين واستنزال نصره وطلب رفع البلاء.

نسأل الله أن يرزقنا التضرع إليه، وأن ينصر الأمة ويعزها، والحمد لله رب العالمين.

أنساك الحج

إعداد د. محمد عبد العزيز
رئيس فرع العاشر

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، ومن تبع هديه واقتفى، وبعد: فإن الحج شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام العظام، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام.

وقد فرضه الله تعالى على المستطيع مرة واحدة في العمر، قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» (آل عمران: ٩٧).

وموضع الشاهد الدال على الفرضية في الآية من وجهين:

الأول: في قوله: «وَلِلَّهِ» فإن "اللام الجارة" الداخلة على لفظ الجلالة لها معانٍ كثيرة تعرف من السياق، ومعناها هنا الاستحقاق، وهو من أشهر معانيها، فالمعنى: لله حق واجب على الناس حج البيت.

الثاني: في قوله تعالى: «عَلَى النَّاسِ»، فإن حرف الجر "على" من أوكد الحروف التي يتقرر بها الحق.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٤٢/٤): «قوله تعالى: «ولله» اللام في قوله: «ولله» لام الإيجاب والإلزام.

ثم أكده بقوله تعالى: «على» التي هي من

أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربي: لفلان عليَّ كذا، فقد وكده وأوجبه.

فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيدًا لحقه وتعظيمًا لحرمته. ولا خلاف في فريضته، وهو أحد قواعد الإسلام، وليس يجب إلا مرة في العمر».

وقال الطاهر بن عاشور في تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المشهور بـ: التحرير والتنوير (٢٢/٤): «وفي هذه الآية من صيغ الوجوب صيغتان:

لام الاستحقاق.

وحرف "على" الدال على تقرر حق في ذمة المجرور بها».

وهذه الآية فيها تقديم الخبر (المسند عند النحويين) على المبتدأ المعرف بالإضافة (المسند إليه عند النحويين): فقوله تعالى: «حِجُّ الْبَيْتِ» مبتدأ مؤخر وقوله: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ» خبر مقدم، والواو العاطفة للاستئناف.

وفائدة تقديم الخبر على المبتدأ المعرفين: الحصر والقصر، وهو حصر وقصر حقيقي، فيكون المعنى: الحج إلى البيت عبادة تصرف لله وحده ولا يجوز فيها إشراك غيره، وهذا فيه ردٌّ بليغ على المشركين الذين كانوا يصرفون الحج لغير الله فيشركون غيره في الإهلال به، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك.

قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويلكم قد، قد.

فيقولون: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت» أخرجه مسلم (١١٨٥).

قال القاضي عياض في إكمال المُعلم بفوائد مسلم (١٨٣/٤): «وقوله: كان المشركون يقولون: "لبيك لا شريك لك": فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد، قد" أي: كفاكم هذا الكلام الصحيح المستقيم الحق، إنكارًا لما كانوا يذيلون به قولهم هذا من قولهم: " إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك".

فعند قوله: " قد، قد " تم كلام النبي صلى الله عليه وسلم".

والحج يجب مرة واحدة في العمر، ومن زاد عنها فهو تطوع، وهذه الآية دالة على ذلك فليس فيها ما يدل على التكرار، قال الإمام الشافعي في الأم (٢٧٧/٣): «لأن الله عز وجل يقول: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» (آل عمران: ٩٧)؛ فذكره مرة، ولم يردد ذكره مرة أخرى».

ولأن الأصل براءة الذمة من عهدة التكليف.

والسنة دالة على ذلك، فمن هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا.

فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم. ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» أخرجه مسلم (١٣٣٧).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الأقرع بن حابس سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال: "بل مرة واحدة، فمن زاد فهو تطوع» أخرجه أبو داود (١٧٢١)، والنسائي في الكبرى (٣٥٨٦).

فضائل الحج:

للحج فضائل عظيمة في الإسلام فمن تلك الفضائل:

١- أنه من أعظم الأعمال التي يتقرب بها إلى الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: «أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» أخرجه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (١٣٥).

٢- أنه مكفر للذنوب كبيرها وصغيرها بشرط أن تكون تلك الذنوب ليس فيها تعلق بحقوق العباد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

٣- أن جزاء الحج المبرور فوق ما مضى دخول الجنة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، والذهب، والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة» أخرجه الترمذي (٨١٠)، وقال: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح غريب.

أنساك الحج:

للحج ثلاثة أنواع يتقرب بها إلى الله كلها مشروع يُخَيَّرُ بينها المحرم، وأيها فعل المحرم أجزأه، وهي:

الأول: حج التمتع، وهو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، ثم يحل منها، ثم يُحرم بالحج يوم التروية (اليوم الثامن من ذي الحجة) من نفس العام، دون سفر إلى محل إقامته أو محل استيطانه.

الثاني: حج الإفراد، وهو أن يحرم بالحج وحده في أشهره.

الثالث: حج القران، وهو أن يحرم بالحج والعمرة معًا في أشهر الحج.

وأعمال المفرد والقارن في الظاهر واحدة، والفرق بينهما في أمرين اثنين:

الأول: النية، فالمفرد ينوي الحج وحده، والقارن ينوي الحج والعمرة معًا.

الثاني: الهدي، فالقارن يجب عليه الهدي، والمفرد لا يجب عليه الهدي.

وقد خيّر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عند إحرامهم بين هذه الأنساك الثلاثة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل، ومن أراد أن يهل بحج فليهل، ومن أراد أن يهل بعمرة فليهل» أخرجه مسلم (١٢١١).

والتخيير بين الأنساك الثلاثة مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، ومنهم الأئمة الأربعة، وقد نقل الإجماع على ذلك.

قال الماوردي في الحاوي (٤/٤٤): «لا اختلاف بين الفقهاء في جواز الإفراد والتمتع والقران، وانما اختلفوا في الأفضل من ذلك والأولى».

وقال ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/٢٠٥): «وفي حديثه هذا عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة من الفقه:

أن التمتع جائز، وأن الإفراد جائز، وأن القران جائز.

وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي كلًا ولم ينكره في حجته على أحد من أصحابه بل أجازه لهم ورضيه».

وقال النووي في المجموع (٧/١٥١): «مذهبنا جواز الثلاثة، وبه قال العلماء وكافة الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلا ما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب وعثمان

بن عفان رضي الله عنهما أنهما كانا ينهيان عن التمتع.

وقد ذكر الشيخ أبو حامد في تعليقه وآخرون من أصحابنا ومن غيرهم من العلماء في نهي عمر وعثمان تأويلين:

أحدهما: أنهما نهيا عنه تنزيهًا وحملاً للناس على ما هو الأفضل عندهما، وهو الإفراد لا أنهما يعتقدان بطلان التمتع هذا مع علمهما بقول الله تعالى: «فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» (البقرة: ١٩٦).

والثاني: أنهما كانا ينهيان عن التمتع الذي فعلته الصحابة في حجة الوداع وهو فسخ الحج الي العمرة لأن ذلك كان خاصًا لهم كما سنذكره واضحًا إن شاء الله تعالى، وهذا التأويل ضعيف وإن كان مشهورًا وسياق الأحاديث الصحيحة يقتضي خلافه».

وقال ابن قدامة في المغني (٣/٢٦٠): «وأجمع أهل العلم على جواز الإحرام بأي الأنساك الثلاثة شاء، واختلفوا في أفضلها».

وقد ذهب الظاهرية إلى أن الأنساك نسكين فقط: القران، والتمتع، ونسك الإفراد عندهم منسوخ.

فأوجبوا التمتع لكل من لم يسق الهدي.

وأوجبوا القران على من ساق الهدي.

وحكوا هذا المذهب عن ابن عباس، وانتصر لهذا المذهب ابن قيم الجوزية في زاد المعاد، واختاره الشيخ الألباني، وقد نافحوا عن مذهبهم هذا.

قال ابن حزم في حجة الوداع (ص ٤٢٦): «وقوم قالوا: إن كل من لم يسق الهدي من محرم بحج مفرد أو قارن بين حج وعمرة معًا، فإنه يحل بعمرة ولا بد له من ذلك شاء أو أبى، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومن وافقه من أصحابه، وهو قول عبيد الله بن الحسن القاضي، وهو قولنا».

وقال ابن القيم في زاد المعاد (٢/١٠٨): «وقد ذهب جماعة من السلف والخلف إلى إيجاب القران على من ساق الهدي، والتمتع بالعمرة المفردة على من لم يسق الهدي، منهم: عبد الله بن عباس وجماعة، فعندهم لا يجوز العدول عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر به أصحابه، فإنه قرن وساق الهدي وأمر كل من لا هدي معه بالفسخ إلى عمرة مفردة، فالواجب أن نفعل كما فعل أو كما أمر».

وقال الشيخ الألباني في حجة النبي صلى الله عليه وسلم (ص ٤٨): «كل مَن لم يَسُق الهدي من الحجاج سواء كان قارنًا أو مفردًا فيجب عليه أن يتحلل من ذلك بعمرة، ثم يلبي بالحج يوم التروية لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك كما يأتي، بل صح أن النبي صلى الله عليه وسلم غضب على الذين لم يبادروا إلى تنفيذ أمره بالتحلل، وأكد ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله: (دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة)، فهذا نصٌ أيضًا على أن العمرة صارت جزءًا لا يتجزأ من الحج فكل حاج لابد له من أن يقرن مع حجه عمرة إما بدون تحلل منها وذلك إذا كان قد ساق معه الهدي، وإما بالتحلل إذا لم يسق الهدي».

وغاية ما استدلوا به: أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالتمتع أصحابه، وقال لهم: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل، وليجعلها عمرة. فقام سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله: ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبّك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبد»

أخرجه مسلم (١٢١٨).

والجواب عنه: أن جمهور الصحابة، ومنهم أبو ذر رضي الله عنه، رأوا أن وجوب الإحلال لمن لم يسق الهدي خاص بالصحابة رضي الله عنهم، قال أبو ذر: «لا تصلح المتعتان، إلا لنا خاصة» يعني: متعة النساء، ومتعة الحج. أخرجه مسلم (١٢٢٤).

والقول بأن الأنساك ثلاثة هو قول جمهور الصحابة وهو قول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وهو قول التابعين وجمهور علماء الأمصار إلى وقتنا هذا.

أي الأنساك الثلاثة أفضل؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على أربعة أقوال مشهورة:

القول الأول: أن القران أفضل الأنساك الثلاثة، ثم يليه التمتع، ثم يليه الإفراد للأفاقي؛ وقد اختاروا هذا القول لأن نسك النبي صلى الله عليه وسلم الذي أحرم به على الصحيح كان القران وكانت حجته هذه هي حجة الإسلام، ثم يلي القران التمتع لأنه النسك الذي أمر به أصحابه، ثم يلي التمتع الإفراد.

والأفاقي: من كان خارج المواقيت المكانية للحرم. (ينظر: التجريد للقدوري (١٤٠٧/٤)، الهداية (١٥٠/١)).

القول الثاني: أن الإفراد أفضل ثم يليه التمتع ثم يليه القران، وهو مذهب مالك وأحد قولي الشافعي؛ لأن الثابت من حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم أنه كان مُفردًا، ولأن المفرد يأتي بالحج في أشهره على الكمال، ثم يأتي بالعمرة في غير أشهر الحج على الكمال، فكان أفضل من القران؛ ولأن المفرد يقتصر على عمل نسك واحد فكان أفضل من التمتع والقران؛ لأن المتمتع والقارن يأتيان بالعمرة في أشهر الحج وذلك رخصة. (ينظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٤٦٩/١)، الجامع لمسائل المدونة (٤٢٩/٤)، والحاوي للماوردي (٤٤/٤)).

القول الثالث: أن التمتع أفضل من الإفراد؛ والإفراد أفضل من القران، وهو أحد قولي الشافعي، وهو مذهب أحمد؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم اختاره لأصحابه، وتمنّاه فقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما سقت الهديَ، ولجعلتها عمرة» أخرجه مسلم (١٢١٦) (ينظر: الحاوي للماوردي (٤٤/٤)، ونهاية المطلب (١٩٠/٤)، والكافي (٣٩٦/١)، والمغني لابن قدامة (٢٦٠/٣)).

القول الرابع: أن القران أفضل لمن ساق الهدي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قرن حين ساق الهدي، ومنع كل من ساق الهدي من الحل حتى ينحر هديه، ثم يليه التمتع لمن لم يسق الهدي، ثم يليه الإفراد، وهو أحد قولي أحمد، وهو الصواب الذي تجتمع به الأدلة. (ينظر: الكافي ٤٧٩/١، والمغني لابن قدامة ٢٦٠/٣).

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المحل، والله أعلم وأحكم.

عزاء واجب

في ليلة الجمعة ١٠ شوال ١٤٤٥هـ الموافق ١٩ أبريل ٢٠٢٤م؛ فقدت جمعية أنصار السنة المحمدية واحدًا من أبنائها المخلصين، وهو الشيخ/ ناصر رمضان حبيشي، الرئيس الأول لفرع الجمعية بكرداسة محافظة الجيزة. والذي كان له جهد مشكور في إشهار الفرع، والدعوة إلى الله تعالى.

ويتقدم مجلس إدارة المركز العام وأسرة تحرير المجلة، بخالص العزاء لأسرة الشيخ، سائلين الله تعالى أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة، وأن يلهم أهله الصبر، وانا لله وانا إليه راجعون.

قصة مفتراة في حَجِّ سبعين ألفًا من بني إسرائيل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولًا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية.

ونذكر القارئ الكريم بأن كتب السنة الأصلية: هي كتب السنة التي صنَّفها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- وهذا الأمر يحسبه من لا دراية له أنه هين، ولكنه عند أصحاب الصناعة الحديثية عظيم، حيث قال الإمام مسلم في «مقدمة الصحيح» بابِ «الإسناد من الدِّين»: «حدثني محمد بن قُهْزاد من أهل مَرْو قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد

إعداد د. علي حشيش

الله بن المبارك يقول: «الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». اهـ.

٣- وقال محمد بن عبد الله: حدثني العباس بن أبي رزمة قال: سمعت عبد الله يقول: «بيننا وبين القوم القوائم» يعني الإسناد». اهـ.

قال الإمام النووي في شرحه لهذا النص: «ومعنى هذا الكلام: إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه، وإلا تركناه، فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد، كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم». اهـ.

٤- ولذلك قال القاسمي في كتابه «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» (ص٢٠١): «اعلم أن الإسناد أصله خصيصة فاضلة لهذه الأمة ليست لغيرها من الأمم.

قال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل».

٥- وإن تعجب فعجب قولهم: «إن موسى عليه السلام حج البيت العتيق في سبعين ألفا من بني إسرائيل»، كما سنبين ذلك من المتن المنسوب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والذي سنكشف عاره ونبين عواره.

٦- إن دعاة التطبيع يتخذون من هذا الحديث وأمثاله ما يدلسون به على الناس من شريعة للتطبيع وإقامة مجمع للأديان، وهذا جهل مركب؛ لجهلهم بالصناعة الحديثية التي يستبين منها عدم صحة الدليل، ولجهلهم بأن هؤلاء من أهل الكتاب.

وهذا ما بينته «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ونائب رئيس اللجنة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، المصري، رحمه الله، في «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (٥١/١) فتوى رقم (٢٢٣٤)، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع والترجمة- الرياض- المملكة العربية السعودية، حفظها الله من أوحال التطبيع)- ١٤١٢هـ.

سؤال الفتوى رقم (٢٢٣٤):

هل يصح في الشريعة الإسلامية أن يعبد أتباع أديان مختلفة تحت سطح واحد؟

والجواب: قالت اللجنة: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

شريعة الإسلام شريعة عامة للإنس والجن، وهذا مُجمَع عليه بحمد الله، ومن زعم أن اليهود على حق، وأن النصارى على حق، سواء كان منهم، أو من غيرهم، فهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة، بل مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» (سبأ: ٢٨)، وقال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان: ١).

وقال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» (الأعراف: ١٥٨).

وثبت في الصحيحين على النبي صلى الله عليه وسلم: «كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى الناس عامة». أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٣٣٥)، ومسلم في «صحيحه» (ح٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة: يهوديٌ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح١٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٣١٧/٢) (ح٨١٨٨)، (٣٥٠/٢) (ح٨٥٩٤) من حديث أبي هريرة.

قلتُ: هذه فتوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية، حفظها الله من التطبيع الذي أوصل بعض البلاد إلى إقامة مجمع أديان، ألم ينه الله سبحانه عن هذا التطبيع في أي شكل من أشكاله؛ فقال تعالى في الآية (١٦) من سورة الحديد المدنية: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» (الحديد: ١٦)، أما آن الأوان أن يستجيب أكثر من ملياري مسلم في العالم لله؛ فتخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق؛ فاليهود ليسوا على حق والنصارى ليسوا على حق كما هو مبين في الفتوى التي ذكرناها آنفًا، ومن زعم أنهم على حق وطبَّع معهم فمصيره مبين في الفتوى.

والله نهانا بقوله: «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»، وكأننا نعيش هذه الآية قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، آلاف الأطفال تقتل، وآلاف النساء تقتل، إبادة جماعية للحجر والشجر والبشر، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، ألم يستح هذا اليهودي الصهيوني الذي جاء من أقصى البلاد ويدمر شعبًا أعزل بما يملكه من فسوق وطغيان يسمى «الفيتو»، جاء يوم الاثنين إلى بلاد الحرمين، الموافق العشرين من شوال، وأنا أكتب هذا المقال، سمعته في مكر

تزول منه الجبال. يقول قرب التطبيع بين إسرائيل وبلاد الحرمين، ومصير الصهيونية قد بينته في فتوى الشيخين آنفًا، والله أسأل أن يحفظ بلاد الحرمين، ويحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم من الإسرائيليات المدسوسة والتي نبين عارها ونكشف عوارها، وسأبين كذبهم في حج سبعين ألفًا من بني إسرائيل للبيت العتيق، بالتخريج والتحقيق.

ثانيًا: المتن:

رُوي عن عمرو بن عوف المزي قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول غزاة غزاها بالأبواء، حتى إذا كان بالروحاء نزلَ بعرق الظبية، فصلى، ثم قال: هل تدرون ما اسم هذا الجبل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبل من جبال الجنة، اللهم بارك فيه، وبارك لأهله فيه». وقال للروحاء: «هذه سَجَاسجُ واد من أودية الجنة، لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيًا، ولقد مر به موسى عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء في سبعين ألفًا من بني إسرائيل، حاجين البيت العتيق، ولا يمر الساعة حتى يمر به عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله حاجًا أو معتمرًا، أو يجمع الله له ذلك». اهـ.

ثالثًا: التخريج:

١- أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦/١٦) (ح١٢) قال: «حدثنا علي بن المبارك، حديثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول غزوة غزاها بالأبواء...» الحديث.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦/٥٧) (١/١٥٩٩) قال: حدثنا بهلول بن إسحاق، ومحمد بن جعفر الإمام، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس به.

٣- وأخرجه أبو إسحاق الحربي في كتاب «المناسك» (ص٤٤٦) من طريق كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده.

رابعًا: التحقيق:

هذا الحديث الذي جاءت به القصة: حديث موضوع، وبرهان ذلك:

١- الحديث الموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شرُّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء في الأحكام، والقصص، والترغيب، إلا مقرونًا ببيان وضعه». كذا في «تدريب الراوي» النوع (٢١) للسيوطي.

٢- علة هذا الحديث: هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

أ- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٢١): «كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني يروي عن أبيه، عن جده، روى عنه إسماعيل بن أويس، منكر الحديث جدًا، يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب.

وكان الشافعي رحمه الله يقول: «كثير بن عبد الله المزني ركن من أركان الكذب». اهـ.

ب- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٤٠٦/٦٩٤٣)، ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: قال ابن معين: «كثير بن عبد الله المزني ليس بشيء».

وقال الشافعي وأبو داود: «ركن من أركان الكذب». وضرب أحمد على حديثه، وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال مظفر بن عبد الله المدني: رأيته، وكان كثير الخصومة، لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ عنه.

قال له ابن عمران القاضي: يا كثير أنت رجل بطال تخاصم فيما لا تعرف وتدعي ما ليس لك، وما لك بينه فلا تقربني إلا أن تراني تفرغت لأهل البطالة».

وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده- نسخة موضوعة.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. اهـ.

قلتُ: بعد أن نقل الإمام الذهبي هذه الأقوال لأئمة الجرح والتعديل أورد هذه القصة المفتراة في حج سبعين ألفًا من بني إسرائيل للبيت العتيق من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه، عن جده، وقد بينا حاله.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **د. علي حشيش**

«مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا وكَفَّنَهُ وحَنَّطَهُ وحَمَلَهُ وصَلَّى عليْهِ، ولَمْ يُفْشِ عليْهِ ما رأى؛ خرجَ مِنْ خطيئتهِ مثلَ يومِ ولدتْهُ أمُّهُ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٧١)، مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «ه عن عليّ».

قلت: «ه» ترمز إلى ابن ماجه في سننه.

وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، ولكن هذا الحديث كما سنبين من التخريج والتحقيق أنه حديث موضوع، مع بيان حدّ هذا المصطلح وتطبيقه على هذا الحديث؛ حتى يجد طالب العلم أيضا في البحث دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج

الحديث أخرجه الحافظ ابن ماجه في «السنن» (١/٤٦٩) (ح١٤٦٢) قال: حدثنا عيل بن محمد، حدثنا عبد الرحمن المحاربي، حدثنا عباد بن كثير، عن عمرو بن خالد، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غسل ميتا وكفنه وحنطه وحمله...» الحديث.

ثانيا: التحقيق:

هذا الحديث علته: عمرو بن خالد:

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٤/٢٠٨/٤٩٤): «عمرو بن خالد أبو خالد القرشي أصله كوفي انتقل إلى واسط، روى عن: حبيب بن ثابت وآخرين، وروى عنه: عباد بن كثير وآخرون:

أ- ثم نقل الإمام المزي أن وكيع بن الجراح قال: «كان عمرو بن خالد في جوارنا يضع الحديث، فلما فُطِنَ له تحوّل إلى واسط».

ب- وقال أحمد بن حنبل: «عمرو بن خالد كذاب».

جـ- وقال يحيى بن معين: «عمرو بن خالد كذاب غير ثقة ولا مأمون».

٢- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (٣/١/٢٣٠): «سألت أبي عن عمرو بن خالد فقال: «متروك الحديث، ذاهب الحديث، لا يُشتغل به، وقال: سألت أبا زرعة عن عمرو بن خالد الواسطي فقال: كان واسطيًّا، وكان يضع الحديث».

٣- وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٥٩): «عمرو بن خالد منكر الحديث». اهـ.

فائدة: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه؛ حيث قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (١/٦): «نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث؛ فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

ففي هذا البحث تطبيق لهذا المعنى: فقول الإمام البخاري: «عمرو بن خالد منكر الحديث» يعادل قول علماء الجرح والتعديل في عمرو بن خالد أبو خالد الواسطي والذي بيناه آنفًا أنه: «كذاب غير ثقة ولا مأمون، ذاهب الحديث يضع الحديث». اهـ.

ولكن الإمام البخاري كما قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «لطيف العبارة في التخريج؛ فليعلم ذلك». اهـ.

الاستنتاج:

«بما أن الراوي كذاب يضع الحديث»، و«الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين

بقرة (بني صهيون).. بين الحقائق القرآنية والأباطيل التوراتية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ؛ ففي خضم الأحداث والجرائم المنقطعة النظير التي يرتكبها الكيان المحتل بحق أهل فلسطين أصحاب الأرض، وفي ظل تماديه في هذا البغي وعدم الكفّ عن جرائمه تلك؛ رغم الضغوط الدولية والاحتجاجات في أنحاء العالم؛ يسعى حكام بني صهيون لإنفاذ ما يعتقده حاخامات اليهود من أنه قد حان ميلاد بقرةٍ حمراء على أرض فلسطين لتكون علامة من الله للبدء في طقس التطهير اليهودي القديم على حد زعمهم، وببلوغها الثلاث سنوات يبدأ العمل لهدم الأقصى وبناء هيكلهم المزعوم، وأنهم قد وجدوا بُغيتهم في تلك البقرة الحمراء التي ولدت قبل سنوات في حقل صغير في قرية (كفار حسيديم) التي تقع بجوار مدينة حيفا، وأسموها (ميلودي)، وقالوا: إنها أول بقره حمراء ولدت في فلسطين منذ أن هُدم الهيكل على يد تيطس الروماني في عام ٧٠م، وأحاطوها بحراسة مشددة ووفَروا لها رعاية أكبر الأطباء البيطريين في العالم، وأنشئوا معهدًا متخصصا لدراسة حالتها، غير أن الفاحصين وجدوا قليلاً من الشعر الأبيض في ذيل تلك البقرة وأنه قد مر عليها الآن قرابة خمس سنوات، وهو ما يعني؛ أنها ليست هي؛ وأن كل محاولاتهم باءت بالفشل الذريع، الأمر الذي دعاهم لأن يبحثوا عن مماثلات لها ليجتلبوها من خارج فلسطين المحتلة.

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

وكانت إسرائيل قد أحضرت في أكتوبر عام ٢٠٢٢ خمسَ بقرات حمر أخريات، بعدما تم ولادتهم بالهندسة الجينية في ولاية تكساس الأمريكية، ليَخضعوا لرعاية خاصة هناك ومراقبة على مدار الساعة، وهذه البقرات محل الحديث الآن، وفي يوليو من العام ٢٠٢٣

نشرت مواقع إعلامية مختلفة خبر جلب إسرائيل لهذه البقرات الخمس الحمر، وفي نفس الشهر وتحت عنوان: (حدث تاريخي: بقرة حمراء في إسرائيل)، كشفت القناة السابعة العبرية على موقعها عبر الإنترنت عن وصول (بقرة حمراء) إلى موقع (شيلوه القديمة) الواقع شمال رام الله، كما كشفت تقارير إسرائيلية عن أن (معهد الهيكل) جلب العجول استعدادًا لحرقها فوق جبل الزيتون المقابل للمسجد الأقصى.

عَبَدَةُ العِجْلِ يقنعون نصارى الغرب بخرافة البقرة التي تناقض معتقداتهم:

وما سبق ذكره، يدل على موافقة نصارى أمريكا والغرب وكهنتهم على خرافة البقرة الحمراء على الرغم من تباين ما بين الشريعتين المسيحية واليهودية، ففي حين تقضي الشريعة اليهودية ببناء الهيكل واستعجال خروج الدجال المسمى لديهم بـ(المسيا) الذي يقوم بحكم العالم، والسعي بكل طريق لبناء الهيكل ورفع ذبيحة على المذبح لكي لا تنزل نار من السماء وتأكلها، والوقوف عند هذا الحدِّ.. تقضي الشريعة المسيحية حسب الفكر اللاهوتي المسيحي العام: بعودة المسيح الذي سيكون مقتل الدجال على يديه، متغافلة عن أن الدجال هو عدو المسيح، وأن اليهود هم من اضطهدوا المسيح وصلبوه، وأن عيسى حسب التفسير الأصولي لديهم، هو من سوف يملك الأرض مِلكًا حرفيًّا ألف عام، فيها ينتهى الشر من العالم، حيث يعيش الأسد مع الحَمَل ويضع الطفل يده فى جحر الأفعى ولا تؤذيه، أى ينزع الله من جميع المخلوقات نزعة الشرّ ويعيشون معًا فى سلام عيشة لا يكون فيها ولادة أو موت، وبعد نهاية الألف عام تأتى القيامة العامة لجميع البشر؛ ويقوم الأموات منذ آدم وتتم دينونتهم ويساق المدانون منهم إلى الجحيم حيث يُعَذبون إلى الأبد في الجحيم؛ والمؤمنون يذهبون للسماء مع المسيح يعيشون يُسَبِّحون ويفرحون إلى الأبد.

ولا ندري كيف بالنصارى مع تناقض ما بين الشريعتين يساهمون في دعم اليهود للترويج لخرافاتهم ويقومون بإحضار بقراتهم الحمر حسب ما تقضي به الشريعة اليهودية ضاربين عرض الحائط بما في معتقداتهم هم؟.. ناهيك عما ذكره القرآن بحق اليهود وهو يعدد جرائمهم ومنها كما في الخطيئة الثامنة - بعد الحديث عن: اتخاذهم العجل معبودًا لهم من دون الله، ومخالفتهم أمر الله بدخول الباب سجدًا وقولهم (حنطة) بدل (حطة)، وتعديهم في السبت، ونقضهم المواثيق، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، وقولهم: (قلوبنا غلف) -: ما جاء في قوله تعالى:

«وبكفرهم» أي: بعيسى حين جحدوا نبوته بالرغم من أن البشارة بعيسي موجودة في التوراة، «**وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وقولهم إنا قتلنا المسيح ابن مريم** » (النساء: ١٥٦، ١٥٧)، والبهتان: هو: الاتهام أو الادعاء أو الاختلاق الشديد الكاذب، ويطلق عليه بهتان: لأنه يبهت ويدهش من يُتَّهم به، ولا أحد يدري كيف يسعى الغرب مع كل هذا ليحقق نبوءات من كان هذا حالهم معهم، ليمارسوا طقوسًا ما أنزل الله بها من سلطان.

طقوس البقرة الحمراء
حسب مزاعم (عبدة العجل)

وتقضي هذه الطقوس حسب ما جاء في الإصحاح التاسع عشر الفقرة الأولى وما بعدها من سفر العدد: بإيجاد وذبح عجل أو بقرة حمراء تمامًا بلا بُقَع، مُسَلَّمة لم تستخدم في عمل من حرث أو

حمل، لا عيب فيها؛ بأن تكون: خالية تمامًا من العيوب الخارجية والأمراض الداخلية، ولم ينزل عليه نيرٌ (وهي الخشبة التي توضع على عنق البقر للحرث) ولا حُلبت من قبل، وأن تكون صغيرة السن. ثم تُحرق البقرة بعد ذبحها خارج المعسكر بعد إضافة خشب الأرز والزوفا والصوف أو الغزل القرمزي المصبوغ، ويوضع الرماد المتبقي في إناء يحتوي على ماء نقي، ثم يستخدم هذا الماء الممزوج برماد البقرة الحمراء في تطهير اليهود، بدءًا من الكاهن الذي يَغسل ملابسه ويغتسل هو برمادها، لاعتقادهم أن اليهود جميعًا غير طاهرين ويتولى هذه المهمة الكهنة ليتسنى لهم الدخول إلى أرض المسجد الأقصى (الهيكل بزعمهم)، لأن اعتقاد أغلب الحاخامات أن دخول أي يهودي إلى باحات المسجد الأقصى من غير أن يتم التطهير برماد البقرة الحمراء؛ يُعَد خطيئة وأمرًا محظورًا، وهم بدون رمادها يظلُّون نجسين، وفي اليوم الثالث والسابع يصبح الكاهن نفسه الذي يقوم بالطقوس نجسًا ويجب عليه أن يغسل نفسه وثيابه في مياه جارية، ويعتبر مع ذلك نجسًا حتى مساء اليوم.. وقد جاء في التلمود ما يؤكد ما ورد في سفر العدد.

ويعتقد حاخامات اليهود أن ميلاد بقرة حمراء بفلسطين علامة من الله للبدء في طقس التطهير اليهودي وهدم الأقصى وبناء الهيكل، ولهذا تهلل اليهود عندما وُلدت بقرة حمراء قبل سنوات في قرية (كفار حسيديم)، ولكن فوجئوا بأنها لا تنطبق عليها الشروط حيث مرَّ عليها خمس سنوات.. وقد أثار استيراد بقرات مماثلة من أمريكا ضجة كبيرة عند (الحاخامية الكبرى) لإسرائيل؛ كون أحد شروط تلك البقرات الحمراء أن تكون قد وُلدت على ما يسمى (أرض إسرائيل)؛ وأنه سيتم تربيتها هنالك حتى تتم عامين، يعني: بالمخالفة لما تقضي به خرافاتهم وأساطيرهم.

بقرة بني إسرائيل كما ورد ذكرها في القرآن الناسخ لشريعة موسى:

على أن ارتباط معشر يهود بالبقر عمومًا؛ حيث عبادتهم العجل، وبالبقرة الصفراء أو الحمراء الفاقع لونها خصوصًا، يَضرب بجذوره منذ القدم، وبحسب ما جرى من انتقال النبوة وموعود الله عنهم إلى (بني المستوحشة)، فإن أمر اليهود وشريعتهم قد انتهيا ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان القرآن قد عاب على أجدادهم صنيعهم بقتلهم واحدًا منهم واتهامهم موسى عليه السلام بالهازئ، وذلك قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» (البقرة: ٦٧)؛ يقول الإمام الطبري: "وهذه الآية مما وبخ الله بها المخاطبين من بني إسرائيل، في نقض أوائلهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه، فقال لهم: واذكروا أيضًا من نكثكم ميثاقي: إذ قال موسى لقومه من بني إسرائيل إذا ادَّارؤا في القتيل الذي قتل فيهم: «إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوًا»؛ والهزو: اللعب والسخرية.. فظنوا بموسى أنه في أمره إياهم بأمر الله أنه هازئ لاعب، ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله وهو يخبرهم أن الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة".

وقال ابن القيم في بدائع التفسير" (١/٣١٩) بشأن أخذ العبر من هذه

القصة: "إن بني إسرائيل فُتنوا بالبقرة مرتين من بين سائر الدواب: ففتنوا بعبادة العجل، وفتنوا بالأمر بذبح البقرة، والبقر من أبلد الحيوان حتى إنه ليضرب به المثل في ذلك". وقد وجب عليهم حيال إسدال الستار عما ارتكبوه فيما مضى من جرائم بحق أنفسهم وبحق نبيهم موسى: نسيان الماضي والإيمان بالنبيّ الخاتم المُبشَّر به في الكثير من آيات توراتهم، وأن ينسحب هذا النسيان بالطبع على قصة البقرة التي ضربوا القتيل ببعضها فأنطقه الله بالقاتل وكان واحدًا منهم، لكن القوم من معاصريهم المغفلين: لم يقنعوا بذلك وظلوا في طغيانهم يعمهون يفسدون ويعربدون ويسفكون المزيد من الدماء ويقتلون النساء والأطفال، وراحوا ينسجون الأساطير ويحْلمون بظهور الدجال ليقيم لهم مملكتهم المزعومة على إثر حرق بقرة مزعومة هي لا تعدو أن تكون من أساطير الأولين.

ومع أن الأمر في عقيدة المسلمين الناسخة لما قبلها: أن الدجال بوصفه الذي أكثر النبي من ذكره بحيث "لم يبق معه –على حد قول القرطبي في التذكرة ص٦٥٢– لذي لبٍّ إشكال، وهي أوصاف كلها ذميمة تَبين لكل ذي حاسة سليمة.. إلا أن من قضى الله عليهم بالشقاوة يتبعون الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة ولا يتبعون الحق ونور التلاوة. فقوله عليه السلام: (إنه أعور وان الله ليس بأعور) يُبيِّنُ للعقول حتى القاصرة أو الغافلة أن من كان ناقصًا في ذاته عاجزًا عن إزالة نقصه: لا يصلح لعجزه وضعفه أن يكون إلهًا أو قادرًا على إعادة مُلك وكان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته.

يضاف لذلك ما ورد في أحاديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من أن الدجال (سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين بمحمد في بيت المقدس). فيهزمه الله وجنوده حتى إن جُدُرَ الحائط وأصل الشجرة ينادي: (يا مؤمن: هذا كافر يستتر بي، تعال فاقتله).. (وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه فيقول للناس: أنا ربكم، وهو أعور وان ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب.. ومعه جبال من خبز والناس في جهد إلا من اتبعه، ومعه نهران نهر يقال له: الجنة، ونهر يقال له: النار، فجنته نار وناره جنة)، وله من خوارق العادات الفاتنة الكثير، منها كما في حديث مسلم:

أنه (يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت.. ويمر بالخربة فيقول لها: اخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين، ثم يدعوه فيُقْبِل يتهلل وجهه يضحك، فبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فنزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا كفيه على أجنحة ملكين.. فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى قومٌ قد عصمهم الله منه: فيمسح على وجوههم ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة)، بعدها يبعث الله مهدي هذه الأمة فيؤمه في الصلاة، ثم يموت ويدفن على ما قيل: مع نبينا عليهما من الله الصلاة والسلام

هذا: وباختصار ما سيحدث نهاية الزمان، وما يكون ممن ختم الله بخاتمة السعادة لأهل الإيمان من أتباع محمد وعيسى عليهما السلام.

والحمد لله رب العالمين.

أدب الطفل

مع إخوانه وأخواته

إعداد الشيخ/ عادل شوشة

فرع المنصورة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فمن الأهمية بمكان أن نؤدب أطفالنا بالآداب الإسلامية الحميدة التي إذا التزمها الطفل استقام سلوكه واستقامت صحته وفوق ذلك كله أرضى ربه واتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ. صحيح: أخرجه أحمد في "مسنده" (٨٩٥٢)، وانظر: المشكاة (٥٠٩٧). وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا. (أخرجه البخاري (٦٠٣٥) واللفظ له، ومسلم (٢٣٢١)).

فخير ما يقدمه الوالد لولده حسن الأدب والتربية؛ لأن الأدب وحسن الخلق نافع للأبناء في الدنيا باحترام الناس لهم وتقديرهم، وفي الآخرة بثقل الميزان ودخول الجنان.

قَالَ عُثْمَانُ الْحَاطِبِيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ لِرَجُلٍ: «أَدِّبِ ابْنَكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَاذَا أَدَّبْتَهُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ،

وَإنَّـهُ مَسْـئُولٌ عَنْ بِـرِّكَ وَطَوَاعِيَتِـهِ لَكَ». (إسـناده حسـن: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان،(٨٢٩٥)).

فلتربِ ولدك على حسـن الخلق؛ سـيما مع إخوته بمراعاة ما يلي:

- أن تكون أسـوة حسـنـة ونموذجًا يحتذى به:

فـلا يمكننا غرس التواؤم والانسـجام بين الأبناء إذا كنا نحن الآباء والأمهات لسنا في وفـاق مع إخوتنا، فالأبناء يدركون بشـكل واع معنى العم والعمة والخال والخالة، وقد يمارسون نفس أدوارنا مع إخواننا وأخواتنا فيما بينهم..

. غرس روح المحبة بين الأولاد بالمساواة وعدم التفرقة بينهم:

فأول لبنـة في بناء التآلـف والتجانس بين الإخوة والأخوات- صـغاراً كانـوا أو كبارا- هـو أن نعـدل بينهم، وألا نقـدم البنين عن البنات أو العكس، وأن نكون عند خلافاتهم مصـلحين وليس قضـاة، فنحرص أن نوائم بينهم مـع المحافظة على حقـوق كل منهم قـدر الإمـكان، ولا نتدخـل كثـيراً في كل خلافاتهم.

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضـي الله عنه قَالَ: كَانَ مَعَ رَسُـولِ اللهِ صَـلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ، فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَـهُ عَلَى فَخِذِهِ، ثُـمَّ جَاءَتْ بِنْـتٌ لَهُ، فَأَجْلَسَـهَا إِلَـى جَنْبِهِ، قَالَ: «فَهَلاَّ عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟». (شعب الإيمان (١١٠٢٢)، وانظر: الصَّحِيحَة (٣٠٩٨))

وقال صلى الله عليه وسلم لمن لم يعدل بين أبنائه في العطيـة «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي النَّحْلِ كَمَا تُحِبُّونَ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ». صحيح الجامع (١٠٤٦)

. تعويدهـم علـى الرفق والرأفة والتواضـع واحترام بعضهم لبعض بعضهم:

وَالرِّفْـقُ: لِـينُ الْجَانِبِ، وَهُوَ خِـلَافُ الْعُنْفِ، وهو مـن علامات الخيرية ولـه أثر بالغ في غرس المودة والمحبة بين أفراد الأسرة.

فلا يوجـد في الأسـرة منظر أجمـل من أن ترى الأخ الكبير يعطف على أخيه أو أخته الصـغار، أو تجد الابن الصـغير يمارس دور الاحـترام لإخوتـه وأخواتـه الكبـار، ولا يوجد اسـتقرار في الأسـرة أكثر مـن تواؤم الصغار مع الكبار.

قَالَ رَسُـولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: إِذَا أَرَادَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ بِأَهْـلِ بَيْتٍ خَـيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِـمُ الرِّفْقَ. (مسـند أحمد (٥٩٠٧/١١) برقم: (٢٥٠٦٥)).(صحِيح)

وقـال رسـول صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه وما ينزع من شيء إلا شانه». (مسلم (٢٥٩٤)).

وقـال عليه الصـلاة والسـلام: «مـن يحرم الرفق يحرم الخير». (مسلم (٢٥٩٢)).

وقال أيضـا صـلى الله عليه وسـلم «إن الله رفيق يحب الرفق». (مسلم (٢٥٩٣)).

وينبغي أن يعلم الرجل أولاده أيضا التأدب مـع إخوتهـم الكبـار ويعرفهـم في الجملـة بحقـوق الكبـار، فللكبـير حـق، فكمـا أن الصغير يُرحم، فكذلك الكبير يوقر.

قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «ليـس منا من لم يعرف حق كبيرنا ويرحم صغيرنا». حسن: (مسند أحمد (٦٩٣٥))، وانظر صَحِيح الْجَامِع (٥٤٤٣).

. تعويدهم مشاورة بعضهم البعض:

إن مـن أهـم الصـفات التـي يتصـف بهـا المجتمع المسلم أن أموره الصغيرة، والكبيرة التـي تتعلـق بمصـالحه تعتمد علـى قرار جماعي، وذلك بقول الله تعالى للمصطفى الذي يوحي إليه: « وَشَـاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (آل عمـران: ١٥٩) وهـذا هـو دأب النبي صـلى الله عليه وسـلم؛ فكان يشـاور أصـحابه في كل أمـر، فعـود أبنـاءك على المشـاورة وكن نموذجًا يُحتذى به بحرصك على المشاورة لأبنائـك ليتعـودوا على مشـاورة بعضـهم البعض.

فقـد يفهم الولـد - في بعض الأحيان- من

الأمور ما لا يفهمه أبوه، فعلى الوالد أن يستشير الولد فيما يفهمه الولد وفيما يتقنه ولا يجهل الولد ولا يبخسه حقه، وعلى الابن أن يقدم رأيه في ثوب من الأدب وقميص من الوقار.

قال الله: «وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» (الأنبياء: ٧٨، ٧٩)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى». (البخاري (٣٤٢٧).

- غرس روح التعاون بينهم:

فالأسرة فريق واحد كل له دوره ومسئوليته فيما يصلحها وينفعها ولن يتم ذلك إلا من خلال الشعور بالانتماء والتعاون التام بين أفراد الأسرة على أمور الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة: ٢)

فعلينا أن نغرس فيهم الحرص على نفع بعضهم البعض وعدم الترفع عن طلب المساعدة من بعضهم البعض وضرورة مساعدة من يحتاج منهم لمساعدة.

- غرس أدب الاستئذان بينهم:

فلا يتعدى أحد على خصوصيات الآخر ولا يأخذ ما له إلا بإذنه، حتى الطفل الصغير يستأذن فيما يخصه وعند أخذ شيء من حقوقه ففي هذا إشعار للغلام بالاهتمام به من ناحية، وتعليمه الآداب الإسلامية من ناحية أخرى.

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟»، فقال الغلام: لا، والله! لا أوثر بنصيبي منك أحدًا.

قال: فتله (أي وضعه في يده) رسول الله في يده. رواه البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

- عدم الاستخفاف بآراء بعضهم وبيان حرمة السخرية والاستهزاء من بعضهم البعض:

لقول الله تبارك وتعالى: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (الحجرات: ١١)

الأدب المنشود في خطوات:

مما سبق يتبين أهمية تنشئة الأبناء على الأدب مع بعضهم البعض، والصغار منهم نعطيهم خلاصة ما سبق بطريقة تتناسب مع سنهم بتلقينهم الآتي:

- أحترم إخوتي الكبار.
- أعطف على إخوتي الصغار.
- أطلب مساعدة إخوتي عند الحاجة.
- أساعد إخواني عندما يحتاجونني.
- لا أنتهك حقوقهم وخصوصياتهم.
- أحافظ على حاجاتهم وأدواتهم.
- أحب إخوتي وأخواتي جميعاً.

أسأل الله أن يبارك لنا في أبنائنا وينبتهم نباتًا حسنًا

وصل اللهم على نبينا محمد وآله.

آفات طالب العلم

إعداد الشيخ أسامة سليمان
رحمه الله

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: فإن العلم هو أثمن دُرة في تاج الشرع المطهَر، ومن ثم كان حتمًا على طالب العلم أن يتحلى بآدابه ويتخلى عن آفاته، ولأن التخلي يُقدم على التحلي، ودرء المفسدة مُقدم على جلب المصلحة؛ نُبيّن في هذا المقال الآفات التي يجب على طالب العلم أن يحذرها:

١-المعاصي: فهي آفة الآفات، وسبب كل فساد ووباء، فهي تقضي على العلم كما تأكل النار الحطب، وظُلمة المعصية تُذهب نور العلم، وفي ذلك جاء قول الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يُهدى لعاصي

والعلماء هم الذين يخشون الله حق الخشية: «إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ» (فاطر: ٢٨). فكل عاص لله جاهل حتى ينزع عن الذنب، كما قال مجاهد.

٢-الكبر: والكبر كما بيَّنه النبي صلى الله عليه وسلم هو بطر الحق وغمط الناس؛ أي احتقارهم وازدراؤهم، فالكِبْر مُهلك لصاحبه، قاض على عِلْمه، ولا يجتمع الكبر والعلم في قلب، وإن كان يحمل من العلم أثقالاً.

والكبر من أمراض القلوب التي لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة منه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد بوَّب الإمام البخاري في "صحيحه" باب: "لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر". وقال مجاهد: وصدق من قال:

العلم حرب للفتى المتعالي
كالسيل حرب للمكان العالي

وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء".

٣-كتم العلم: فكتم العلم يؤدي إلى نسيانه، والماء إذا لم يَجر أسن، وكذا العلم إذا كُتم ذهب، والعلم يزيد بالإنفاق، وصدق من قال:

يزيد بكثرة الإنفاق منه
وينقص إن به كفا شددتا

ولقد توعد الله الذين يكتمون العلم باللعن؛ قال سبحانه: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ

ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٩). وقال صلى الله عليه وسلم: "من سُئل عن علم ثم كتمه؛ ألجم يوم القيامة بلجام من النار". (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني).

٤-النسيان: وهو من أعظم آفات العلم، وطريق علاج هذه الآفة متعدد الجوانب، فأول وسيلة لعلاجه كتابة العلم، فالعلم صيد، والكتابة قيده، ولذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثًا مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب. (رواه البخاري).

وقال صلى الله عليه وسلم: "قيِّدوا العلم بالكتابة". (صححه الألباني).

والمذاكرة وبذل العلم واجتناب المعاصي والعمل والذكر، كل ذلك أسباب لحفظ العلم وعدم نسيانه.

٥-الحزبية والطائفية البغيضة: فالحزبية البغيضة تقضي على نور العلم وبركته؛ لأن عقد الولاء والبراء للطوائف والأحزاب والجماعات ليس من هدي السلف، بل هو من صفات فِرَق الضلال وجماعات الأهواء، أما طالب العلم الذي هو على منهج السلف، فيعقد الولاء والبراء للإسلام -القرآن والسنة بفهم سلف الأمة-؛ فالصراط واحد لا عشرات، والجماعة واحدة لا جماعات، ويد الله مع الجماعة، ومن شذّ شذ في النار. فكن أخي مع أهل السنة والجماعة، ولا تتَّبع فِرَق الضلال وجماعات الأهواء والحزبية.

٦- الجدل العقيم: فلقد كان هدي السلف الكفَّ عن كثرة الخصام والجدال؛ لأن التوسع فيه من قلة الورع، ولا تكن أخي كمن تركوا العدو على باب مدينتهم وهم يجادلون في جنس الملائكة!! بل قاتل العدو مع بيان الحق في الملائكة.

٧- التصدر قبل التأهل: فمن آفة العلم التعجل قبل النضج؛ لأن مَن تعجَّل شيئًا قبل أوانه عُوقب بحرمانه، فالشجرة لا تخرج فوق سطح الأرض حتى يستقر جذرها ويثبت لمواجهة العواصف والرياح، وهذه من أعظم الآفات في عصرنا. ومَن تصدر قبل أوانه خرج لأوانه.

٨- عدم الارتحال لطلب العلم: ولا يخفى عليك أخي رحلة موسى عليه السلام لطلب العلم، فمن لم يَرحل لطلب العلم يبعد عليه أن يُرحل إليه، ولقد رحل جابر بن عبد الله إلى بلاد الشام مسيرة شهر ليسمع حديثًا واحدًا من عبد الله بن أنيس، ورحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إلى مصر ليسمع حديثًا واحدًا من عقبة بن عامر؛ طلبًا لعلو الإسناد.

فأين نحن من هؤلاء الأعلام، أصحاب الهمم العالية من سلف الأمة الذين صدقوا الله فعلَّمهم وحَفظهم في دينهم ودنياهم.

ومن المضحك في هذا الباب أن أهل البدع -المتصوفة ومَن على شاكلتهم- يُفضلون علم الخِرَق على علم الوَرق، فلقد قيل لأحدهم: ألا ترحل لتسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق مَن يسمع من الخلاق!! وقال آخر:

إذا خاطبوني بعلم الورق
برزت عليهم بعلم الخرق

٩-تلقي العلم دون شيخ: فمن كان شيخه كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه، ومن دخل إلى العلم وحده، خرج منه وحده، فالأصل في العلم التلقي والأخذ من أفواه العلماء، فالعلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا تأخذ العلم من صُحُفيَ ولا القرآن من مُصحفي.

هذه بعض آفات العلم، فاجتهد أخي في اجتنابها، واعلم أن العلم ميراث الأنبياء، وأنه يزداد بالبذل والعطاء، وهو رفيقك في القبر بعد موتك.

أسأل الله أن يرزقنا علمًا نافعًا، ونعوذ به من علم لا ينفع.

والله من وراء القصد.

خير قائد ومُعلم في الحج: رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

إعداد **الشيخ عبده أحمد الأقرع**

فرع اختراري

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى ورسولنا المجتبى؛ سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد: ففي مثل هذه الأيام من كل عام تستقبل أمة الإسلام مناسبة عظيمة وعبادة جليلة من أجلِّ العبادات، مَن أداها-مخلصًا متبعًا للسُّنة- محا الله عنه السيئات، وأدخله الله الجنات؛ ترى ما هي هذه العبادة؟ إنها فريضة الحج.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمته». متفق عليه.

والحج المبرور هو الذي يقوم على العلم والعمل معًا، فالاستعداد للحج بالعلم النافع، والفقه في الأحكام، وسؤال أهل العلم عما يشكل، فلا يجوز أن يعبد الله على جهل، أو تؤدي المناسك على غير هدى، وذلك أمر ينبغي أن يعنى به الحجاج أيما عناية، ونهيب بشركات السياحة أن يكون مع كل حملة عالم يعلِّمهم ومفت يفتيهم اقتداء برسول اللهَ صلى الله عليهَ وسلم.

وأتركك أخي لتقف على ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في رحلته المباركة لأداء فريضة الحج.

أولا: التعليم:

ومن تأمل حجه صلى الله عليه وسلم وجد أنه هو ذلك المعلم الموصوف بأنه صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه». صحيح مسلم رقم (٥٣٧). إذ أمر بأن يؤذن في الناس قبل الحج بأنه صلى الله عليه وسلم يريد الحج، ليسهِّل على من يريد مرافقته السفر معه. ومكث خارج المدينة بذي الحليفة يومًا كاملاً ينتظر من يريد اللحاق به صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري رقم (١٥٥١). فقدم المدينة بشر كثير، ولحقت به أعداد غفيرة كل واحد منها يلتمس أن يأتم به ويأخذ عنه. صحيح أبي داود رقم (١٦٧٦). حتى بلغوا مائة ألف. مختصر السيرة: لابن عبد الوهاب (٥٧٢). فاختلط صلى الله عليه وسلم بالناس وأشرف لهم وبرز طوال الموسم، وكان لا يصرف أحد عنه ولا يدفع، ولم يكن

حوله ضرب ولا طرد، ولا قول إليك إليك. صحيح سنن ابن ماجه رقم (٢٤٦١).

وحرص صلى الله عليه وسلم على البلاغ وإقامة الحجة على الخلق فحفزهم على التعلم، وشحذ هممهم، وشدّ انتباههم إلى ما يقول ويفعل، بتنويع أساليب الخطاب وطرق التعلم، وبأمره صلى الله عليه وسلم لهم بأخذ المناسك عنه لاحتمال أن تكون حجته الأخيرة. واتخاذه من ينصت الناس ويسكتهم، كما في حديث جرير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع: «استنصت لي الناس» فقال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». صحيح البخاري رقم (١٢١).

ولم يقتصر صلى الله عليه وسلم على البلاغ والتعليم بنفسه؛ بل جعل صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس بعرفة -ربيعة بن أمية- رضي الله عنه يصرخ خلفه صلى الله عليه وسلم في الناس يسمعهم خطبته. السيرة النبوية، لابن كثير (٣٤٢/٤).

وفي منى جعل صلى الله عليه وسلم عليًا رضي الله عنه يعبّر عنه، ويردد كلامه، والناس بين قاعد وقائم. صحيح سنن الترمذي رقم (٧٠٠).

ولم يقتصر تعليمه صلى الله عليه وسلم على الأصحاء والكبار بل علّم المرضى ووجّه الضعفة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة رضي الله عنها حين اشتكت إليه أنها وجعة: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة». صحيح البخاري رقم (٤٦٤).

وأمره صلى الله عليه وسلم للظعن والضعفة أن ينفروا من جمع بليل. صحيح البخاري (١٦٧٩).

كما شمل تعليمه صلى الله عليه وسلم الصغار والأطفال، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: «هات، القط لي». يقول ابن عباس: «فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فوضعهن في يده، وجعل يقول بهن في يده: بأمثال هؤلاء فارموا». صحيح سنن النسائي رقم (٢٨٦٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم لغلمان بني عبد المطلب: «لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس». صحيح سنن أبي داود (١٧١٠).

واستنهض الهِمَم للعمل بذكر مراتب بعض الأعمال وفضائلها، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». صحيح سنن الترمذي رقم (٢٨٣٧).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «مسح الحجر والركن اليماني يحط الخطايا حطًا». صحيح الترغيب (١١٣٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من طاف بالبيت وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة». صحيح سنن ابن ماجه رقم (٢٣٩٣).

وأبرز الأمور التي اهتم بها صلى الله عليه وسلم بتعليم الناس إياها، هي: أحكام المناسك؛ حيث جمع فيها صلى الله عليه وسلم بين البيان النظري والتطبيق العملي، فإنه صلى الله عليه وسلم: «لما كان قبل التروية بيوم، خطب الناس فأخبرهم بمناسكهم». صحيح الجامع رقم (٤٧٧٤).

ومن ذلك بيانه صلى الله عليه وسلم منزلة أركان الإسلام وقواعده الكبار، إذ قال في إحدى خطبه في الموسم: «اتقوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم». صحيح سنن الترمذي رقم (٥١٢).

ومن ذلك: بيانه صلى الله عليه وسلم بعض الأحكام الشرعية، ككيفية غسل الميت محرمًا وتكفينه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا». صحيح الجامع رقم (١٠٧٩).

وبما أنا نرى اليوم الملايين من البشر في الحج تتوافد على الديار المقدسة عامًا بعد آخر، فإن الفرصة مواتية لأن يتصدى أهل العلم

لتعليمهم أصول الدين وتفقيههم بأحكامه.

ثانيا الإفتاء:

من أهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج مع الناس تبيين المشكل عليهم من الأحكام، والجواب عن أسئلتهم.

ولعل من أشهرها: إن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فحجي عنه». صحيح مسلم رقم (١٣٣٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم لكل من سأله عن التقديم والتأخير في أعمال يوم النحر: «افعل ولا حرج». صحيح البخاري رقم (٨٣).

والملاحظ في إفتائه صلى الله عليه وسلم في الموسم أمور عدة، من أوضحها:

وقوفه صلى الله عليه وسلم للناس وبروزه لهم لكي يروه ويسألوه، كما يدل لذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: «طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت في حجة الوداع على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه، لأن يراه الناس، وليشرف، وليسألوه، فإن الناس غشوه». صحيح مسلم (١٢٧٣).

ومنها: جنوحه إلى التيسير في فتاويه، والتخفيف على ذوي الحاجات، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، فقالت: يا رسول الله، إني أريد الحج وأنا شاكية؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «حجي، واشترطي أن محلي حيث حبستني». مسلم رقم (١٢٠٧).

ومنها: عن عاصم رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لرعاء الابل في البيتوتة، أن يرموا يوم النحر، ثم يجمعوا رمي يومين بعد النحر فيرمونه في أحدهما». قال مالك: ظننت أنه قال: في الأول منهما، ثم يرمون يوم النفر. صحيح سنن ابن ماجه رقم (٢٤٨١).

معنى: البيتوتة: أي: في شأن البيتوتة بمنى.

ومنها: حرصه صلى الله عليه وسلم على إقناع من يستفتيه، كقوله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له: «يا رسول الله، إن أبي أدركه الإسلام، وهو شيخ كبير، لا يثبت على راحلته، أفأحج عنه؟ قال: أرأيت لو كان عليه دين فقضيته عنه، أكان يجزيه؟ قال: نعم. قال: فحج عن أبيك». المسند لأحمد رقم (١٨١٢).

ومنها: صبره صلى الله عليه وسلم على السائلين واحتمالهم، ورحمتهم، والرفق بهم، والشواهد الدالة على ذلك كثيرة: منها: حديث جابر رضي الله عنه الطويل، وفيه: «ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك». صحيح مسلم رقم (١٢١٨).

ومنها: إفتاؤه صلى الله عليه وسلم في شأن الحج، وهو الغالب، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس رضي الله عنها، لما ولدت، وهي معه بذي الحليفة، فأرسلت إليه تسأله: كيف تصنع؟ قال: «اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي». صحيح مسلم رقم (١٢١٨).

ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم كان أحيانًا يمزج فتواه بترغيب في العمل، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة بالروحاء رفعت إليه صبيًا، فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر». مسلم رقم (١٣٣٦).

ومنها: تعدد مواطن فتاويه، وإفتاؤه صلى الله عليه وسلم الناس في كل موطن، إذ أفتى الحجيج عند الاحرام بذي الحليفة، وفي البيت الحرام، وفي عرفة، ومزدلفة، ومنى، وأثناء التنقل بين المشاعر، وفي طريق العودة إلى المدينة. فما أحوجنا لمن يقوم بهذا الأمر مع كل حملة من حملات الحج من كافة اللغات والبروز لهم في طرقاتهم ومواضع إقامتهم، للإجابة عن أسئلتهم، وحل إشكالاتهم، «لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (التوبة: ١٢٢).

ثالثا: الوعظ والتذكير:

في الحج كان صلى الله عليه وسلم مذكرًا للناس وواعظهم، ومن نظر في وعظه، وتأمل في تذكيره فيه، بانت له قضايا، واتضحت له أمور، من أبرزها:

استثماره صلى الله عليه وسلم الفرص، وربطه بين المواقف، كقوله صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس يوم النحر: «أتدرون أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست بالبلد الحرام، قلنا: بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم». صحيح البخاري (١٧٤١).

ومنها: عدم اقتصاره صلى الله عليه وسلم على الترهيب، بل جمع معه الترغيب بالأجر، والتبشير بالثواب والترغيب في حسن الخلق، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». صحيح سنن ابن ماجه رقم (٢٤٥٠).

ومنها: التحذير من الغلو: إذ قال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». صحيح سنن ابن ماجه رقم (٢٤٥٥).

ومنها: الوصية ببر الوالدين وصلة الرحم: إذ قال صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس بمنى في حجة الوداع: «أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك». صحيح الجامع رقم (١٤٠٠).

ومنها: الوصية بالنساء: إذ قال صلى الله عليه وسلم: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله». مسلم رقم (١٢١٨).

ومنها: حثه صلى الله عليه وسلم على التبليغ عنه، وتحذيره من الكذب عليه، إذ قال صلى الله عليه وسلم: «نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فرُبَّ حامل فقه غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه». صحيح ابن ماجه (٢٤٨٠).

ومنها: حثه صلى الله عليه وسلم على الاجتهاد في التضرع والمناجاة والدعاء، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء». مسلم رقم (١٣٤٨).

رابعًا: التربية على الاتباع، وتوحيد مصدر التلقي:

ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم وحثه الناس في خطبته يوم عرفة على الاعتصام بالتنزيل والتمسك به، لأنه طريق الوقاية من الزيغ والضلال؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله». مسلم (١٢١٨).

خامسًا: توحيد الأمة، وتحذيرها من الفتن ودواعي الافتراق:

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو بالخيف بمنى: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم». صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٨٠).

ومنها: نهيه صلى الله عليه وسلم عما يسبب الفرقة، ويؤدي إلى الفتنة في المجتمع المسلم، كالاقتتال: حيث قال صلى الله عليه وسلم بعد أن استنصت الناس: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض». صحيح البخاري (١٢١).

سادسًا: القيادة الناجحة، والمعاملة الحسنة:

جمل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بكمالات الأخلاق، وزينه بأجل الآداب، فامتلك لذلك مقومات القيادة الناجحة، والأساليب المثلى للمعاملة الحسنة، فهوت إليه الأفئدة، وتدافع عليه الناس حين بلغهم عزمه صلى الله عليه وسلم على الحج، كل يريد السير تحت لوائه، كل يريد أن يأتم به، ويعمل مثل عمله، فأثر صلى الله عليه وسلم في نفوسهم أعمق تأثير، ووجههم أحسن توجيه، وقادهم أعظم قيادة عرفتها البشرية.

فصلى الله وسلم وبارك عليك يا خليلي يا رسول الله، اللهم امنن علينا بحج بيتك الحرام، واجعلنا هداة مهديين. آمين.

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد
د. عبد الرحمن فودة
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين. أما بعدُ؛ فقد تناولنا في المقال السابق دور السياق في إيثار وصف "مُهين" دون غيره من أوصاف العذاب، أسأل الله لي ولك السلامة من كل سوء. وسُقنا على ذلك أمثلة تحليلية. وفي هذا المقال بعون الله وتوفيقه نتناول وصف "مُقيم".

الوصف الخامس: «مقيم»:

ورد هذا الوصف خمس مرات، كلها فاصلة، وكلها في الآخرة، وكلها نكرة، وفي جمل اسمية، ثلاث منها مكية وثنتان مدنية. أربع منها مرفوعة وواحدة مجرورة.

والمقام: المستقر، ويعبّر بالإقامة عن الدوام، والاستمرار. يقال: أقام بالمكان إقامة: ثبت. ويقيمون الصلاة: يديمون فعلها ويحافظون عليها.

ومعنى هذا الوصف أن عذاب المعذبين غير منفكَ عنهم، مثل من يقيم بمكان إقامة دائمة، فيجعل هؤلاء المعذبين يائسين من التفكير في الخروج من هذا العذاب والعودة منه إلى الدنيا.

وقد وصف بهذا العذاب الكافرون والمنافقون والظالمون وقوم نوح عليه السلام، ومشركو مكة، وفيما يلي نتأمل بعض النماذج التي جاء فيها هذا الوصف:

المثال الأول:

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» (المائدة: ٣٦، ٣٧).

وفي هذه الآية-موطن الشاهد- أبهم العذاب لهوله وفظاعته ثم وصفه بالأبدية (مقيم)، وإرادة الخروج من النار يناسبه الإقامة وطول المكث معاملة بنقيض القصد، أو عكس ما يتمنى أو يريد المعذب؛ لأن ذلك هو حقيقة الإقامة في العذاب. وفي قوله: «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» يفيد تقديم (لهم) الحصر وكأن المعنى: لهم خصوصًا عذاب مقيم وليس ذلك لغيرهم.

ونستأنس من خلال سياق الآية بهذه الكلمات الدالة على رغبتهم الصادقة ومحاولتهم البائسة اليائسة للخروج من هذا العذاب، وليس ثَمّ خروج منه: (يريدون): فعل الإرادة المضارع الذي يدل على تجدد المحاولة مرة بعد مرة. (أن يخرجوا) أن والفعل المضارع أيضًا لبيان محاولة الخروج والاستمرار فيها، ثم (وما هم بخارجين منها) باستعمال اسم الفاعل الدال على الثبات والدوام وهو هنا منفي، أي مؤكد عدم خروجهم منها. وتمنى الكفار أن يكون لهم ما في الأرض جميعًا ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة يناسب أيضًا أن يقيموا في العذاب. فتكمن المفارقة في كونهم يريدون الخروج من النار، فيقدمون ما يملكون فداءً لهم من ذلك العذاب الذي ينتظرهم وهم أشبه ما يكونون بالأسير في سجن عدوه، ينتظر أن يفرج عنه بما يملك من مال، ولكن هيهات، فإنهم لن يخرجوا من النار، بل سيقيمون فيها، ويعذبون عذابًا مقيمًا غير راحل عنهم، وكأن الآية بينت المفارقة بين الإرادة والمصير لدى هؤلاء الكافرين.

> “وصف العذاب بأنه مقيم في نحو قوله: «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» يفيد التأبيد فهو عذاب لا انقطاع له.”

واسم الفاعل (مقيم) دال على الثبات الدوام، وهو نكرة مع موصوفه لإفادة التهويل والتفخيم جراء استمراره، وفاصلته متناغمة مع ما قبلها وما بعدها في إيقاع متناسب، تنتهي الكلمات بمثل (أليم، مقيم، حكيم، رحيم). مع ملاحظة أن الآية وردت بعد توعد هؤلاء الكافرين بعذاب أليم حتى لو كانوا يملكون ما في الأرض ومثله معه من أجل افتداء أنفسهم من عذاب يوم القيامة، وهي خسارة نفسية أليمة.

المثال الثاني:

في سياق وحي الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن يصنع الفلك ولا يلتفت إلى قومه، ثم يبدأ في صناعتها ويسخر قومه منه فيخاطبهم: «وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» (هود: ٣٨، ٣٩).

وصف العذاب هنا بـ (مقيم) يفيد أنه غير منفكّ عن قوم نوح الذين سخروا من نبي الله ولم يؤمنوا به، وهو وصف مناسب لحالتهم؛ إذ كلما مر عليه ملأ منهم سخروا منه، فهذا يفيد استمرار سخريتهم من نوح عليه السلام فكان المقابل استمرار عذابهم، وقد وصف العذاب بجملة (يخزيه)؛ فهو ليس مجرد ألم يحيق بصاحبه، ولكنه مصحوب بما يحقق الخزي والإهانة لصاحبه في مقابل سخريتهم السابقة، ويضيف (ويحل) معنى يؤكد الإقامة، فالحلول في المكان الإقامة به، فهو إذًا عذاب دائم مستمر استمرار المقيم في داره.

ومما يؤكد المعنى أيضًا مجيء الكلمة (مقيم) اسم فاعل للدلالة على الثبوت والدوام. وتنكيرها الذي يحمل معنى التهويل لمن يلوح له بهذا العذاب.

وقد خاطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم مشركي مكة مثل ما خاطب نوح قومه، لتشابه رد الفعل من كفار مكة مع رد الفعل من قوم نوح إذ كانوا يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم ويصفونه بالجنون كما قال قوم نوح: «وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ» (القمر: ٩)؛ فجاءت آية الزمر: «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» (الزمر: ٣٩، ٤٠)، شبيهة بآية هود في بيان مصير كفار مكة على نحو ما لقي قوم نوح من عذاب يخزيهم وعذاب يقيمون فيه، بل تحول العذاب نفسه إلى مقيم وكأنه شخص ملازم لذلك المكان.

المثال الثالث:

- «وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ» (الشورى: ٤٥).

إن سياق الآيات في سورة الشورى يتناول الظلم والظالمين، حيث ورد فيها:

- «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» (الشورى: ٤٠).
- «وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ» (الشورى: ٤١).
- «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ» (الشورى: ٤٢).
- «وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ» (الشورى: ٤٤).
- «إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ» (الشورى: ٤٥).

> “ الظلم ظلمان: ظلم أصغر، وظلم أكبر. وصاحب الظلم الأكبر له عذاب مقيم لا انقطاع له. ”

إذًا فالظالمون في عذاب دائم لا انقطاع له، وهو عذاب مقيم: أي مستمر عقوبة لهذا الفعل الشائن الذي يصدر منهم دائمًا وصار طبعًا وسجية فيهم، معبرًا باسم الفاعل (الظالمين) وكأنها إشارة إلى إصرارهم على الظلم، وأخذ حق الغير، أو منع الغير حقه، ولذلك عبر بجملة «إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (الشورى: ٤٥)؛ لأن الظالم خاسر، حين يعتدي وينتقص حقوق الآخرين فهو يحقق لهم خسارة، ومن ثم فإنه يعامل من جنس عمله، فيصير خاسرًا وإذا كان في الدنيا يبحث عن الربح من أجل أهله (زوجه وولده) فإنه يخسر هؤلاء جميعًا يوم القيامة جزاءً لبحثه عن تحقيق الربح الحرام لهم. ولعل الآية السابقة على هذه الآية وهي قوله تعالى: «وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ» (الشورى: ٤٤)، توضح رغبتهم بعد رؤيتهم للعذاب في البحث عن سبيل للعودة وللتخلص من ظلمهم، فناسب أن يقضي على أملهم في الرجوع فتوعدهم بالعذاب المقيم الذي لا رجعة بعده.

ومن هنا ختمت الآية استئنافًا أو تتمة لكلام المؤمنين عن هؤلاء الخاسرين بقوله (ألا) الافتتاحية، تأكيدًا، و(إن) المؤكدة والاسمية (الظالمين) مع اسم الفاعل، وهو اسم ظاهر عام للتأكيد على أن هذا جزاء من اتصف بصفة الظلم فلا تخص فريقًا بعينه نزلت فيهم الآيات، وانما تشمل كل الظالمين على مر الأيام والدهور، في عذاب مقيم، دائم لا يتحولون عنه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات عن طريق البريد المصري، على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة) ٤٥٠ جنيهاً عن السنة.

ويوجد تخفيض آخر في حالة وصول عدد الاشتراكات إلى ٨ نسخ على عنوان واحد يكون سعر الاشتراك للنسخة الواحدة ٢٠٠ جنيه فقط.

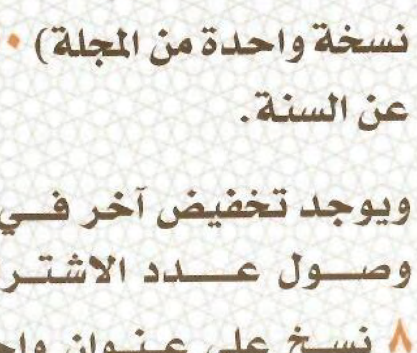

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتي عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٤٣
لعام ١٤٤٣ هـ

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشتري

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢